تأسست يونيو ٢٠٢٣



العدد 34
إبريل 2026
السنة الثالثة



د. خالد الزغيبي

حميدة موسى

عندليب البادية



من نطنز الى هرمز

كيف يعيد ترامب كتابة الحقيقة

الخبير الإستراتيجي
عميد . سمير راغب

رئيس التحرير
عيد وحيده

رئيس مجلس الإدارة
عصمت ضيف الله الملهطاني



السادة الحاصلون على نجوم ذهبية

هلنا
مجلة كل العرب


د.عيد وحيده



م.محمود الفحام



أ.حسني جرامون



أ. ناجي بو المسمارية



د.خالد الزغيبي



أ.د. إبراهيم العايش



أ. عبد الله أبو زوير



د. إبراهيم شعبان



الاثري . عبد الله لعشيبي



أ.د. حسن شعبان



أ. قدورة العجني



أ. صابرين الصباغ



د. رمضان ياسين




نهنئ أ.د. إبراهيم العايش
لحصوله على النجمة الذهبية الثانية
بمجلة هلنا





هلا
مجلة كل العرب

تعريف بالسادة كتاب هذا العدد



أ.د. إبراهيم العايش

أستاذ العلوم السياسية بجامعة سرت الليبية



م. محمود الفحام

شاعر وعضو اتحاد الكتاب



الأثري.عبدالله لعشيبي

مدير الاثار الاسلامية والقبطية بمطروح



أ.ناجي بو المسمارية

عضو لجنة التراث بمطروح



أ.حسني جرامون

صحفي وكاتب مصري



د. خالد الزغيبي

استاذ فلسفة القانون بجامعة بنغازي الليبية



أ.د. فايز البتانوني

أستاذ متفرغ بجامعة الأزهر



د.حماد الرمحي

عضو مجلس التكافل نقابة الصحافيين-عضو بالمجلس الاعلى للاعلام



د.م. إبراهيم شعبان

كبير مهندسي بناء السفن



أ. فريحة المريمي

كاتبة وصحفية ليبية



عميد. سمير راغب

خبير استراتيجي ومحلل بالقنوات الاخبارية الدولية - رئيس المؤسسة العربية للتنمية والدراسات الاستراتيجية



م. عصمت ضيف الله

رئيس مجلس الإدارة

إقرأ في هذا العدد

هلنا
مجلة كل العرب

رئيس التحرير
د. عيد وحيده

رئيس القسم الأدبي
م. محمود الفحام

رئيس القسم الإجتماعي
أ. حسني جرامون

رئيس قسم تراث البادية
المستشار ناجي بو المسمارية

رئيس قسم الشؤون الليبية
دكتور خالد الزغيبي

رئيس مجلس الإدارة
م. عصمت ضيف الله الملهطاني





أ.د. إبراهيم العايش

الأجواد

المعنى والصفات في المجتمعات العربية



الأجواد هي كلمة تشير إلى أهل الجود وأصحاب الشهامة والنخوة والشجاعة، وإغاثة الملهوف، والوفاء بالعهود، والعفو عند المقدرة.

وارتبط مصطلح الأجواد بمفهوم الكرم والعطاء، وقد حثّ ديننا الحنيف على الجود والكرم والعفو، وجعلها من شِيَم المسلم.

فمن هم الأجواد؟ وما هي صفاتهم؟

اشتُقّت كلمة "الأجواد" في التراث العربي وفي الحياة البدوية من مصدر "الجود". ويقول الشيخ الطاهر الزاوي في القاموس المحيط: "الجواد: السخي"، وتُجمع "أجواد" و"أجاويد".

والجود بفتح الجيم: المطر الغزير، وعين جؤود: كثيرة الدمع. أما في قاموس الرائد لجبران مسعود، فالأجود هو الأكرم، وتُجمع "أجاويد".

والجود في اللغة:

- جوّد: كثرة العطاء.
- جاد الرجل بماله يجود جودًا (بالضم)، فهو جواد.
- وقيل: الجواد هو الذي يعطي بلا مسألة، صيانة للأخذ من ذل السؤال.
- ويُفسر الجود أيضًا بالسخاء.

وهذه الكلمة "الأجواد" بمعانيها الجليلة، والتي كانت من صفات وأعراف العرب، ثبتها الإسلام وحثّ عليها كصفة نبيلة يتصف بها المسلم. وقد وردت كلمة "الأجواد" في التراث الشعبي البدوي بصيغة الجمع، ولا توجد بصيغة المفرد، بل إن المفرد اشتُقّ اسمه منهم. فمثلًا يُقال: "ولد أجواد" أو "أجوادي"، أو "بنت أجواد" نسبةً إلى الجمع.

وقد ترد بألفاظ أخرى تحمل نفس المعنى، مثل: الأجاويد، والمسامي، والسمايا، حيث وردت هذه المسميات في أكثر من أثر شعري.

- صفات الأجواد

أما صفات الأجواد، فهي صفات عديدة وحسنة المثل والسلوك، حيث تغنّى بها الشعراء في قصائدهم الشعرية، سواء في اللغة الفصحى أو في العامية والتراث الشعبي والبدوي.

نماذج من الشعر في وصف الأجواد

يقول الشاعر فرج الشيخي في قصيدة طويلة:

لو تنتصح تسمع كلام الفاهم
وتاخذ خبر للجواد وأموايزهم

اللي وين ما تبقي نزيل أخذاهم
تعيش في دلال وبالفخر تذكرهم

طعامة الضيف وين جا قاصدهم
وقولة أيساره حجة أصغيرهم

ويحموا الخايف وين جا لجياهم
فزاعة تفكوا الواعرة موعرهم

على أثر العصر ربي الجود عطاهم
على كل حد صاعب خشوش بحرهم

ويقول الشاعر محمود أحمدية بومنيار في وصف الأجواد:

لجواد هم لجواد في الكرب والرخا
زينين زان الوقت والأشان

لجواد عند الكرب في وان الردا
ديارًا على المكروب والشرقان

طعامة الضيف وين للغاشي لفا
لقولة أيساره يندروا أندراي

ويختم قصيدته بالبيت الجميل:

ولجواد جودة وجود وصفاوة نقا
إن جاورتهم ما لك إلا الإحسان

وكلمة "الأجواد" في العامية الليبية البدوية خاصة، وفي البادية العربية على وجه العموم، هي كلمة جامعة لكافة خصال الخير. فهي ليست الكرم فقط،

بل تعني: الذي يجود بماله، ومن يحسن إلى جاره، ومن لا يقابل الإساءة بالإساءة.

ويقابلها في اللغة العربية كلمة "الخيّرين" الطيبين ذوي النخوة والشهامة والمروءة.

فالجود بحر لا ساحل له، ولا تحده معانٍ ملموسة، بل هو الخير كله. وهي تُقال للكريم والمعطاء، وصاحب الأفعال الحميدة والحسنة، والذي يعفو عند المقدرة ويملك روح التسامح والعفو... إلخ من الصفات التي تميز النبلاء ويتحلى بها الفرسان الشجعان.

وقد عززها الإسلام، وجعلها صفة المؤمن، كما أوصى بها رسولنا الكريم في كافة الأحوال، حتى في ساحات الحرب والقتال.

وباتت الأخلاق الحميدة التي أوصى بها الإسلام مرادفة للجيّدين والأجواد.

وفي مفهومنا وتراثنا الشعبي أن الأجواد هم أنبل وأعظم الناس في كافة الأحوال والظروف.

ويقول الشاعر عبدالسلام بوجلاوي فيهم:

أموايز ولد لجواد لك نوصفها
إن خالطك تلقي عليه دليل

إن حدث صدق وإن كان عاهد وفّى
ويشيل الصلايب فوق حمل ثقيل

وفيه إن برم بسياسته تصفّى
إن خاضت وحاست حوسة البنتيل

معلاقة رقيق يطيح وين إتهفّه
إن تمت الريح مصدرة الرحيل

شديد عزم لا يضعف ولا إيهتفّي
ويصمد أمام الدايلين إيديل

وإن كان دال لا يحقد ولا يشفّي
ويرحم إن جاه عزيز قوم ذليل

كما يقول الشاعر:

إن غابوا يغيب الخير ويغيب البها
الدنيا بلاهم طعمها بيسال

لولا ضنا الأجواد شيالة العنا
ما بالمحاسن تنضرب الأمثال

• مكانة الأجواد

مكانة الأجواد أثيرة في أفئدة الناس، وتشبّثت ذاكرة الشعراء بهم، سواء في الشعر الشعبي أو حتى شعراء الفصحى، فكلهم نظموا القصائد في صفات هؤلاء الناس وأفعالهم. وبذلك ظفروا بالمجد والصيت الطيب والسمعة الحسنة.

ونجدهم مدعاة فخر لأهلهم وذويهم، ومحط إعجاب القاصي والداني. وكذلك هناك من خلدتهم سيرتهم وطبيعتهم حتى بعد وفاتهم، واستمرت أفعالهم مثلاً يُحتذى به ويتغنى به الشعراء، لما في ذلك من قدوة حسنة وأفعال خيّرة.

ويقول الشاعر الشريف الشارف الحرنة:

الله يزيدهم الأجواد عز وهيبة
حديثهم يزهي البال وين تجيه

الله يحفظهم ويعينهم ويجعل في الصلاح غرضهم
وفي كل شدة ربنا يتهضهم ويجعل فرج لكروبهم تسبيبه

ما عمرهم داروا اللي تقرضهم
في مالهم وأخذ الجود نصيبه

والأنذال مستاصل خطير مرضهم
الجود طب في صيبه وهم في صيبه

الله يبارك فيهم ويزيدهم شرف لجواد ويعليهم

اللي يفرحوا وقت الضيف ييجيهم
يصبح ويمسي جودهم زاهيبه

في كل مجمع جابده طاريهم
على طول عمره زينهم يحكيبه

• خاتمة

تغنّى الشعراء وكتب الأدباء في معنى وصفات الأجواد، وقرنوا هذا الاسم بصفات الجود والعطاء والفخر والشجاعة والتسامح والعفو، حتى بات هذا المصطلح مرادفًا لكافة الصفات النبيلة التي يتميز بها الإنسان عن أقرانه. ويستمر معه هذا التبجيل والتوقير والاحترام حتى بعد وفاته ورحيله عن الدنيا، فتظل الناس تذكره دائمًا بهذه الخصال النبيلة والسيرة المحمودة.

وختامًا، لا يسعنا إلا أن نقول: الأجواد هم سند لمن رافقهم وجاورهم. والجود طبع وممارسة، وينتقل من السلف إلى الخلف بالتوريث في غالب الأحيان، حيث يُطلق على الإنسان الجواد "ولد أجواد". كما أن الأجواد يحملون الصفات التي قد تؤثر فيمن حولهم، حيث يُقال في موروثنا الشعبي: "ضيف الأجواد أي ضيف"، دلالةً على امتداد الأثر الذي يتركه الأجواد فيمن حولهم.

وفي الفصحى يقول الشاعر:

يجود علينا الخيّرون بمالهم
ونحن بمال الخيرين نجود

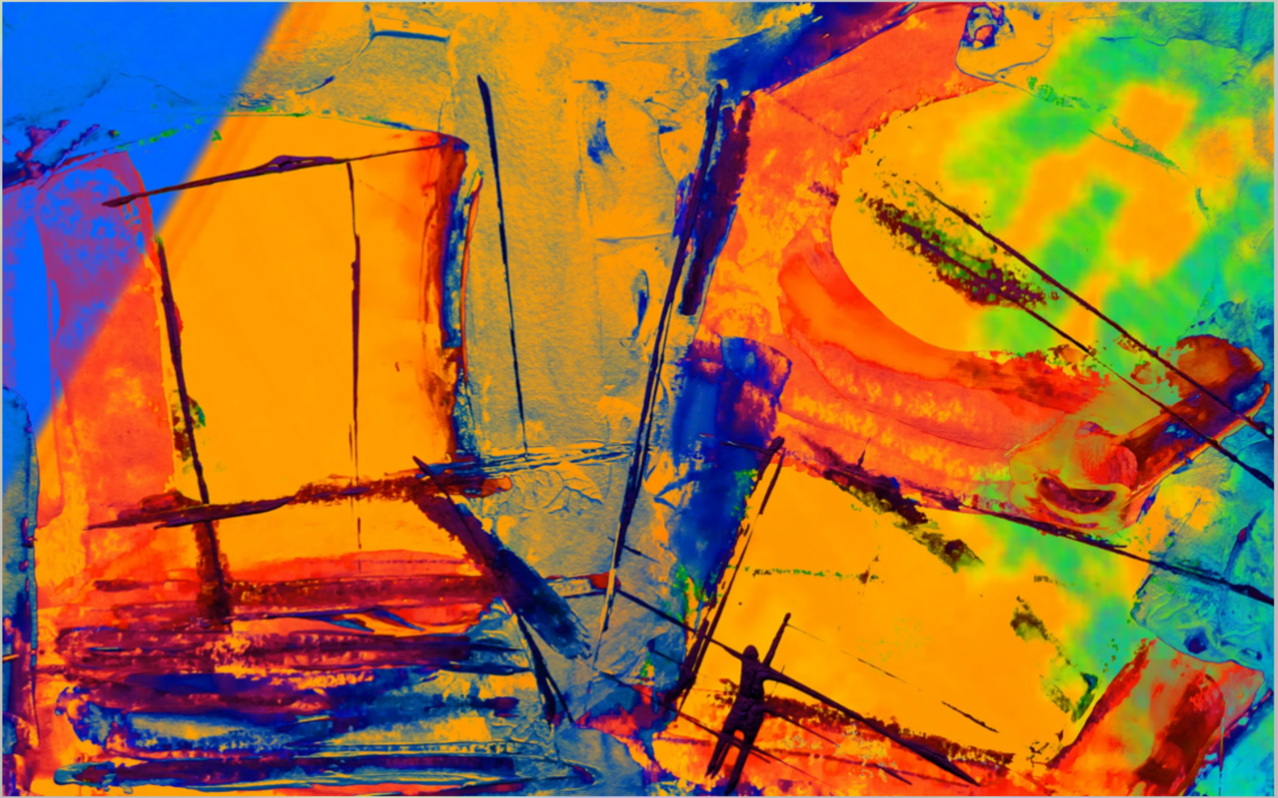
اللهم اجعلنا من الخيّرين الجوّادين، فأينما نحلّ تحل البركة والعافية والأفعال الخيرة الحسنة.

ويقول الله سبحانه وتعالى:
"إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"
[صدق الله العظيم]



شعر

بوح الذكريات





م. محمود الفحام

وَأَنَا أُدَاعِبُ ذِكْرَيَاتِ حَيَاتِي
أَيْقَظْتُ حُبّاً مُبْهَمَ القَسَمَاتِ

أَوْدَعْتُهُ يَا رَبِّ طَيَّ سَرِيرَتِي
وَخَبَّأْتُهُ فِي ثَائِرِ النَّبَضَاتِ

يَا أَيُّهَا العِشْقُ الشَّفِيفُ إِلَى مَتَى
تَبْقَى المُعَنَّى فِي خَبَايَا ذَاتِي؟!

هَلَّا تُصَارِحُنَا؟ يُجِيبُ سُكُوتُنَا
عَيْنُ الرَّقِيبِ قَسِيَّةُ النَّظَرَاتِ

وَأَنَا المُفَوَّهُ مَا اسْتَطَعْتُ تَكَلُّماً
وَهِيَ الصَّمُوتُ حَيِيَّةُ النَّظَرَاتِ

أَعْوَامُ صَمْتٍ غَالَنَا لَمْ نُنْهِهِ
وَرَسُولُ حُبٍّ حَيَّرَتْهُ أَنَاتِي

إِنْ غِبْتُ جَاءَ مُسَائِلاً عَنْ عَوْدَتِي
وَيَوَدُّ يُخْبِرُهَا بِأَنِّي آتِي

وَأَعُودُ مُشْتَاقاً أَرُومُ لِقَاءَهَا
فَإِذَا الهَوَى مُتَلَعْثِمُ الخَطَوَاتِ

وَإِذَا الْتَقَيْنَا فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّنَا
نَحْكِي خَفَايَا الحُبِّ بِاللَّفْتَاتِ

وَتَقُولُ صَمْتاً: هَلْ عَلِمْتَ صَبَابَتِي؟!
فَيُجِيبُ صَمْتِي: وَاسْأَلِي خَفَقَاتِي

وَتَكَادُ تَنْطِقُ بِالهَيَامِ عُيُونُنَا
فَيَعُودُ يَطْوِيهَا صَدَى الهَمَسَاتِ

يَا قَلْبُ هَلْ تَقْتَاتُ وَهْماً غَائِماً؟!
فَيَقُولُ: يُؤْنِسُنِي سَعِيرُ شَتَاتِي

يَا قَلْبُ إِنِّي مَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا
فَيَقُولُ: لَكِنْ عِنْدَهَا مَرْسَاتِي

هَلَا سَمِعْتُمْ عَنْ غَرَامٍ صَامِتٍ
يَتَكَتَّمُ الأَشْوَاقَ وَالآهَاتِ؟!

مَضَتِ العُقُودُ تَلِي العُقُودَ وَلَمْ أَزَلْ
لَهِثاً أَبُثُّ النَّايَ مُرَّ شَكَاتِي

إِيهِ يَا آمَالَ عُمْرٍ يَنْقَضِي

وَالصَّمْتُ غَلَّفَ بِالأَسَى سَنَوَاتِي

مَازِلْت مُلْهِمَتِي وَنَبْضَ مَشَاعِرِي
لَا أَنْثَنِي رَغْمَ الفِرَاقِ العَاتِي

وَأَخَالُهَا قَالَتْ: لِمَاذَا صَمْتُنَا
يَا مَنْ بِحُبِّكَ تَنْتَشِي لَيَلَاتِي؟!

مَازِلْتُ أَطْمَعُ فِي لِقَائِك لَحْظَةً
وَأُقِيمُ فِي مِحْرَابِكُمْ صَلَوَاتِي

وَأَبُثُّ أَشْوَاقِي إِلَيْكِ حَبِيبَتِي
يَا دُرَّةً لَمْ تُبْدِهَا صَدَفَاتِي

أَنَا قَدْ ضَنِنْتُ بِأَنْ يَرَاهَا حَاسِدٌ
فَخَبَأْتُهَا فِي عَاطِرِ الأَبْيَاتِ

وَأُقِرُّ أَنِّي قَدْ أَنَخْتُ قَوَافِلِي
عَانَقْتُ حِصْنَكِ وَانْتَهَتْ غَزَوَاتِي

وَلِيَبْقَ حُبُّكِ فِي قَصِيدِي حَائِراً
وَيَحَارُ فِي التَّفْسِيرِ كُلُّ رُوَاتِي

قِصَصُ الغَرَامِ تَوَاتَرَتْ لَكِنَّهَا
فِي قِصَّتِي مَقْلُوبَةُ الصَّفَحَاتِ

أَقُولُ مَعْذِرَةً عَلَى مَا فَاتَنَا
ضَيَّعْتُ عُمْرِي فِي أَسَى صَبَوَاتِي

أَيْنَاكِ؟ أَيْنَ الحُلْمُ وَالأَمَلُ الَّذِي
كَمْ كَانَ يَهْفُو عَاطِرَ النَّسَمَاتِ؟!

كُنْتِ المَاضِيَ الأَثِيرَ وَطَالَمَا
قَدْ تُقْتُ لَوْ تَبْقِينَ أُنْسَ حَيَاتِي

هَلَّا أَعُودُ إِلَى هَوًى أَهْدَرْتُهُ؟!
هَلْ يَعُودُ العُمْرُ بَعْدَ فَوَاتِ؟!

أَنَا إِنْ مَضَيْتُ إِلَى رِحَابِكِ خَالِقِي
أَيَبُوحُ بِالمَكْنُونِ نَبْضُ رُفَاتِي؟!

مسيرة العلمين

من غابة الألغام ومدينة الموتى إلى أيقونة مُدن الجيل الرابع



تصدّرت مدينة العلمين الجديدة المشهدَ العمراني والثقافي والترفيهي في مصر خلال الآونة الأخيرة، باعتبارها إحدى المدن الذكية التي تنتمي إلى الجيل الرابع من المدن. لكن العلمين الجديدة تُخفي خلفَ وهجِها الحضاري تاريخًا طويلًا يمتد لآلاف الأعوام؛ فما بين قرية أثرية لم يبقَ منها سوى أطلال، ومحطة فارقة على طريق ألغام الحرب العالمية الثانية، تحوّلت إلى وجهة سياحية تتطلّع إلى المستقبل بشكلٍ مُبهر.

الأثري . عبد الله موسى لعشيبي



في بقعة نائية من صحراء مصر الغربية، تمتد مقابر العلمين حيث يرقد آلاف من قتلى الحرب العالمية الثانية، شُهودًا على مرارتها التي جسّدتها عبارة كُتبت على مسلة فرعونية تدعو إلى "احترام الحياة".



المعضمة الألمانية

العلمين.. معركة الحسم في الحرب العالمية الثانية في هذه المنطقة من أرض مصر، دارت رحى إحدى أهم معارك الحرب العالمية الثانية، إنها معركة العلمين الشهيرة التي كانت نقطة تحول لمصلحة قوات الحلفاء بقيادة الجنرال مونتغمري على قوات المحور بقيادة روميل. وتشهد هذه المقابر احتفالًا سنويًا لإحياء ذكرى تلك المعركة التي دارت في هذه المنطقة الواقعة بمحافظة مطروح شمال غرب مصر منذ عام 1942م.

ورغم مرور أكثر من 80 عامًا على معركة العلمين، إلا أنها تأبى إلا أن تترك للأجيال المختلفة ذكرى تُخلّد وتؤرّخ لهذه الحقبة المهمة من تاريخ العالم، متمثلة في مقابر ضحايا هذه الحرب من القوات المتحاربة؛ فأولئك الذين فرّقتهم الخلافات السياسية والأيديولوجية جمعهم الثرى.

تقع مدينة العلمين عند منطقة "الكيلو 106" على طريق الإسكندرية - مرسى مطروح، شمال غرب القاهرة على ساحل البحر المتوسط، ويبلغ عدد سكانها نحو 11 ألف نسمة.

وتضم المدينة ثلاث مقابر رئيسية: الأولى لمقابر الكومنولث وتضم قتلى قوات بريطانيا ونيوزيلندا وفرنسا وأستراليا والهند وجنوب إفريقيا، بالإضافة إلى مقبرتين لقتلى القوات الألمانية والإيطالية.



مقابر الكومنولث

المقبرة الألمانية

تقع المقبرة الألمانية، والتي يُطلق عليها "المَعلمة الألمانية"، بمنطقة تل العيس (العيسة) المُطلة على البحر المتوسط. يوجد بها جثامين ورفات أكثر من 4200 جندي ألماني من قتلى الحرب العالمية الثانية. شُيّدت المقبرة الألمانية على هيئة قلعة، وهي مُقسّمة إلى ثماني غرف، بواقع سبع غرف تضم كل منها 600 جندي، في حين تضم الغرفة الثامنة 80 جنديًا مجهول الهوية.

ومن المعلوم أن الجنود الألمان والإيطاليين كانوا مدفونين معًا في مقبرة واحدة، وفي عام 1956م قررت الحكومة الألمانية بناء مقبرة خاصة للألمان، وتم نقل رفات الجنود الألمان حيث كان مُسجلاً اسم كل جندي وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته. الأرض المُقام عليها المقبرة مُهداة من الشعب المصري، وهناك لوحة تذكارية مُسجّل عليها ذلك.

ووسط المقبرة الألمانية، تتربع مسلة فرعونية مرسوم عليها صقور مستقيمة، كرمز للأبدية وللدلالة على أن هؤلاء الذين قضوا بعيدًا عن أوطانهم ماتوا ودُفنوا في دولة تُقدّس الموتى منذ آلاف السنين، وأن هذه المسلة تأخذ الموتى الألمان تحت حمايتها. ومكتوب على المسلة: "استريحوا.. 4200 جندي ألماني بالحرب العالمية الثانية.. موتهم توصية وإنذار لنا". وعلى الجهة الأخرى من المسلة، دُوّنت عبارة: "احترسوا من الموت.. واحترموا الحياة".

مقابر الكومنولث

تضم العلمين أيضًا مقابر دول الكومنولث، والتي تحتوي على جثامين 7367 جنديًا من بريطانيا ونيوزيلندا وأستراليا وجنوب إفريقيا والهند وماليزيا وفرنسا. وفي هذه المقبرة دُوّنت أسماء نحو 11 ألفًا و945 جنديًا ممن لم يُعثَر على أشلائهم، ويُعتقد أنهم فُقدوا في الصحراء.

المقبرة الإيطالية

أما المقبرة الإيطالية فتُعتبر أكثر المقابر جمالاً من حيث الفخامة وفن العمارة. تضم تلك المقبرة 4800 من جثامين القتلى الإيطاليين في الحرب، وتوجد لوحة تشير إلى أن الصحراء ابتلعت أجساد نحو 38 ألف شخص. وتضم المقبرة الإيطالية كنيسة صغيرة ومسجدًا وقاعة للذكريات ومتحفًا صغيرًا.

معركة العلمين

تُعد معركة العلمين من أهم معارك التحوّل في الحرب العالمية الثانية، حيث كانت لنتائجها تأثيرات بالغة على مسار الحرب العالمية بشكل عام. دارت معارك

العلمين الأولى والثانية خلال الفترة من أول يوليو وحتى 4 نوفمبر عام 1942م، وكانت تلك المعارك مفصليّة في مسيرة الحرب، وشهدت أعنف وأشرس معارك الدبابات في التاريخ.

ومثّلت هزيمة قوات المحور في هذه المعركة بداية توالى الهزائم لقوات المحور حتى انتهت الحرب بانتصار قوات الحلفاء. كان ميزان القوة يميل بقوة لصالح الحلفاء، حيث بلغ حجم قواتهم خلال المعركة 195 ألفًا في مواجهة 104 آلاف. كما كان الحلفاء مُسلّحين بنحو 1029 دبابة مقابل 489 للمحور، فضلاً عن 2311 مدفعًا للحلفاء مقابل 1219 للمحور، و750 طائرة للحلفاء مقابل 675 للمحور.

لقد كان لهزيمة الألمان والإيطاليين في العلمين وتراجعهم إلى ليبيا، ومحاصرتهم بقوات الحلفاء في مصر وتونس والجزائر، والخسائر الفادحة التي مُنيت بها اليابان في الصين والمقاومة الشرسة التي



المسلة التذكارية بفناء المعضمة الألمانية

واجهتها، تأثيرٌ بالغ في التعجيل بنهاية الحرب العالمية الثانية، ووقف المزيد من نزيف الدم.

متحف العلمين

وتخليدًا لذكرى معركة العلمين، أُقيم متحف حربي يحكي سير المعركة وخرائطها، ويضم نماذج من الأسلحة المستخدمة خاصة الأسلحة الثقيلة من مدافع مختلفة الطرازات والأعيرة، والدبابات والمدرعات والسيارات والطائرات من الصناعات الألمانية والإيطالية والبريطانية وحتى الأمريكية، فضلاً عن الأسلحة الخفيفة.

وهذه المقابر شاهد على النتيجة الحقيقية والوحيدة لأي حرب وأي قتال. وقد دعا قادة الدول المتحاربة في إحدى الاحتفالات التي أُقيمت تخليدًا لذكرى ضحايا الحرب العالمية الثانية إلى زيارة هذه المقابر؛ للتعرف على نتائج ما يتخذونه من قرارات يدفع ثمنها أبرياء لا ذنب لهم.

ولا تقتصر مأساة الحرب على ما خلّفته من قتلى، فقد تركت وراءها أيضًا نحو 20 مليون لغم وجسم قابل للانفجار منتشرة من غرب الإسكندرية وحتى الحدود الليبية، بمساحة تبلغ نحو 683 ألف فدان.

العلمين الجديدة.. أيقونة الجيل الرابع

صدر القرار الجمهوري عام 2018 بإنشاء مدينة العلمين الجديدة، وتم تطهير مساحات واسعة من تلك الأراضي الملوّثة بالألغام، وأقيمت العديد من المشروعات السياحية العالمية. وأصبحت مدينة العلمين الجديدة نموذجًا فريدًا للمدن الجيل الرابع، حيث تم إنشاء آلاف الوحدات السكنية مثل مشروعات "الإسكان المميز"، و"سكن مصر". فضلاً عن الأبراج الشاطئية، ومرسى الفنارة، والمنطقة الترفيهية، وحي حدائق العلمين، وغيرها من المعالم التي تضعها في مصاف أكبر المدن الحديثة في العالم.



قائمة بأسماء شهداء الجنود الليبيين المشاركين في الحرب بالمقبرة الإيطالية



المقبرة الإيطالية

من أمثال الباديـة

أ. ناجي بو المسماريـة




من أمثلة البادية العرب يقولوا:
اللي يقتلها الذيب، توالى الكلب [أي تعجبه].

فلا يَغُرَّنَّكُم دموع التماسيح التي تُذْرَف، ولا تُبيحُوا الكلاب على الذئاب، فَكُلُّهُنَّ فصيلة واحدة.
ولا يُبْكِيَنَّكُم صراخ وعويل النائحات المستأجَرَات هنا وهناك، فليست الثَّكْلَى الحزينة كالنائحة المستأجَرة، فبكاءٌ عن بكاءٍ يُفَرَّق، وألمٌ عن ألمٍ يختلف.
ولا يُقَاسُ النارَ ويَشْعُر بألم حروقها إلا واطِئُها.

وللأسف، فقد أصبح الكذب والنفاق دَيدَنَ أُمَّةٍ وأسلوبَ حياةٍ، إلا من رحم الله. الكل يَكْذِب على الكل، والمصيبة أنهم جميعًا يعرفون أنهم يَكْذِبُونَ، السامعون والمتحدثون.
فنحن أكثر أمة يختلف ظاهرها عن باطنها، وكما قال أحد الصالحين: "لو عَرَفْتُم ما في جَوْفي لَضَرَبْتُمُوني بالنِّعال، ولو عَرَفْتُم ما في قلوبكم لَتَصَافَحْتُم بالسُّيوف في الطرقات".
إنهم يَكْذِبُونَ كما يتنفسون.

ونعود للمثل، وللكلب الذي يُوَالِي مَن قَتَلَ الذئب ويُعْجَبُ به، لأنه في النهاية سَيَنَالُ من الحب جانبًا، ومن الشاة بعضَ الفتات؛ فالذئب لن يستطيع أن يأكل كل الشاة بمفرده.

#ومن أمثلة البادية الجميلة أيضًا، يقولون:
الحمارة جابت أربعة عشر بطن، ولم يَفُكَّهَا من شيل الأزيار.

في زماننا الأول، كان جلب الماء على ظهور الحمير (أكرمكم الله)، وعندما يحتاج النَّجْعُ إلى الماء، يَأْتُونَ بالأم الكبيرة، ولا يَأْتُونَ بأولادها لحمل الأزيار؛ لأنها تعرف الطريق إلى البيت جيدًا، ولا تجري بسرعة، ولا تَبْرَطِعُ، ولا تُنَوْكِسُ، وهي صبورة تنتظر حتى يتم ملء الأزيار، ولا تَجْفِلُ، ولا تخاف من ظِلِّها، ولا تتخامج من ظِلِّها مثل صغارها.
وتعود أحيانًا إلى البيت بمفردها، والعِلَّلُ يُعَاوِدُ على قول خَطَرِهَا.

وصاحب قصيدة البيت الواحد قال:
[#اللي له عليك جميل، تنساه كيف؟ يازين ما لك كِفَاء]

في الصميم

حسني جرامون







البَصَّاص والخَبَّاص

كانت وظيفة البَصَّاصِ أو الخَبَّاص معروفة في مصر أيام المماليك مهنةً قائمة بذاتها، لها مواصفات لا يخطئها العارفون.

أهمها: انعدام الأصل، وغياب الخُلق، والمهارة في نقل الكلام بلا أمانة ولا حياء.

ومنهم من كان مريض النفس، ومثل هذا لا يُرجى منه إلا الأذى، وليس على المريض حرج.
الخَبَّاص منافق وكذاب وحقير ونتِن.
وظيفته: تأليف الإشاعات، وتتبُّع العورات، وبَثّ الشقاق بين الناس بلا بيّنة، ثم حمل ذلك إلى وليّ نعمته وصاحب مصلحته؛ ليترقَّى ويبيع كل شيء في سبيل منفعة زائلة، أو وصولٍ إلى كرسي بغير حق.
يُتقن إشعال الفتن، وتوقيع الناس في بعضهم، ويجعل من الخراب سلَّمًا، ومن الخصومة تجارةً حقيرة.

الفرق بين خبَّاصي الماضي والحاضر

غير أن خبَّاصي الماضي كانوا واضحين معروفين، لهم أماكنهم، لا يستحون من أسمائهم ولا CNN أفعالهم، كانت لهم قهوة تسمى:
قهوة الخبَّاصين

أما اليوم، فالخَبَّاص الفَتَّان يجلس إلى جوارك متخفِّيًا في عباءة "ابن الأجاويد"، يتزيَّا بلباس الحكمة وقلبه مستودع للشر.
فحسبنا الله ونعم الوكيل في خبَّاص اليوم.
أعاذنا الله وإياكم من شر هؤلاء البَصَّاصين، الخَبَّاصين، الفَتَّانين، المنافقين، الخُبَثاء.
فهم آفة المجالس، ووقود الفتن، وأعداء السكينة، ومُفرِّقو الأحباب والأصدقاء.

الغيبة والنميمة

الغيبة والنميمة من أسوأ العادات التي ممكن الإنسان يقع فيها، لأنها بتضر الناس وبتخرب العلاقات.
الغيبة: هي ذكر الشخص بسوء في غيابه.
النميمة: هي نقل الكلام بين الناس بغرض الإفساد.
ربنا حذَّرنا منهم في القرآن، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تناجشوا، ولا يغتب بعضكم بعضًا".
أكثر فترة يظهر فيها الخبَّاصون الفَتَّانون هي وقت الانتخابات، تجد المتملقين يدبُّون — سموهم للأسف — للمرشحين، ويُبعِدون عنهم المخلصين والشرفاء والصادقين.



وللأسف، بعض المرشحين عديمي الخبرة يتمتعون بمن ينقل لهم الكلام الكاذب المعسول.

من كبائر الذنوب في الإسلام، وبتدمر العلاقات بين الناس.

خلينا نفرّق بينهم:

• الغيبة: إنك تذكر أخوك المسلم بشيء يكرهه وهو مش موجود، حتى لو الكلام صِدق.

والدليل: قول النبي ﷺ: "أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ". مثال: فلان بخيل، أو فلانة ثقيلة دم، وهو مش سامعك.

• النميمة: نقل الكلام بين الناس بنية الإفساد وتخريب العلاقات. والدليل: "لا يدخل الجنة نمام" (متفق عليه). مثال: تروح لصاحبك تقول له: فلان قال عنك كذا وكذا؛ عشان توقِّع بينهم.

الفرق الجوهري:

• الغيبة: تتكلم عن شخص غائب بما يكرهه.

• النميمة: تنقل كلامًا عشان توقِّع بين اثنين.

الهدف والضرر الأساسي:

الغيبة: التنفيس أو السخرية، هَتْكُ ستر المسلم، وأكل حسناتك.

النميمة: الإفساد بين الناس، قطع العلاقات، ونشر العداوة.

لِيه خطيرة؟ حسناتك بتروح يوم القيامة، المظلوم ياخد من حسناتك، ولو خلصت حسناتك تاخد من سيئاته.

عذاب القبر: النبي ﷺ مرَّ بقبرين وقال: "إنهما لَيُعَذَّبان، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة".

تُفسد المجتمع: بتقتل الثقة وتزرع الشك بين الناس.

كفارتها إزاي؟

1. التوبة الصادقة: تندم، وتوقف فورًا، وتعزم ما ترجع للمعاصي أبدًا.
2. الاستغفار للشخص: تدعي له، تقول: اللهم اغفر لي ولفلان.
3. مدحه في نفس المجلس: لو اغتبته قدام ناس، امدحه قدام نفس الناس.
4. لو تقدر تتحلل منه وتطلب يسامحك، لكن لو هتفتح مشكلة أكبر، فكفاية الدعاء والاستغفار له.

قبل ما تتكلم عن حد مش موجود، اسأل نفسك: لو كان سامعني دلوقتي هيزعل؟ لو الإجابة "نعم"، اسكت.

حميدة موسى

عندليب البادية



د. خالد الزغيبي



كانت الإسكندرية، عروس البحر المتوسط، تتنفس فناً بحرياً بدوياً فريداً، يجمع بين عبقرية المكان وسحر البادية، فأنتجت لنا كنوزاً فنية خالدة. ومن بين هذه الكنوز، يطل علينا صوت لا يشبه سواه، صوت كأنه ناي حزين جاء مع رياح الصحراء ليستقر على شواطئ البحر: صوت حميدة موسى.

نشأ الفنان حميدة موسى في حي زعربانة، في منطقة الظاهرية برمل الإسكندرية، في أحضان أسرة فنية أهدت الحياة ثلاثة نجوم، فكان هو وأخوه مصراتي وحلومة ثالوثاً بدوياً سكندرياً نادراً، ينتمي إلى قبيلة العروي من قبائل السُّنَنَّة ضمن قبائل أولاد علي، حاملاً في صوته حكايات الترحال والجذور، ومعبراً عنها بلغة الموسيقى والألحان التي اخترقت الحدود.

كان لحميدة موسى ذلك الصوت المميز الناعم، الذي يحمل في طبقاته عبق الرمال الذهبية ونسيم البحر المالح. هذا التناقض الساحر جعل أغنياته العاطفية، التي تتناول شجون الحب والغربة والحنين، تصل إلى قلوب المستمعين من الإسكندرية إلى ليبيا، ومن الكويت إلى السعودية. لقد كان سفيراً غير رسمي للفن السكندري البدوي، يحمل هوية مكانه وينشرها في أرجاء الوطن العربي.

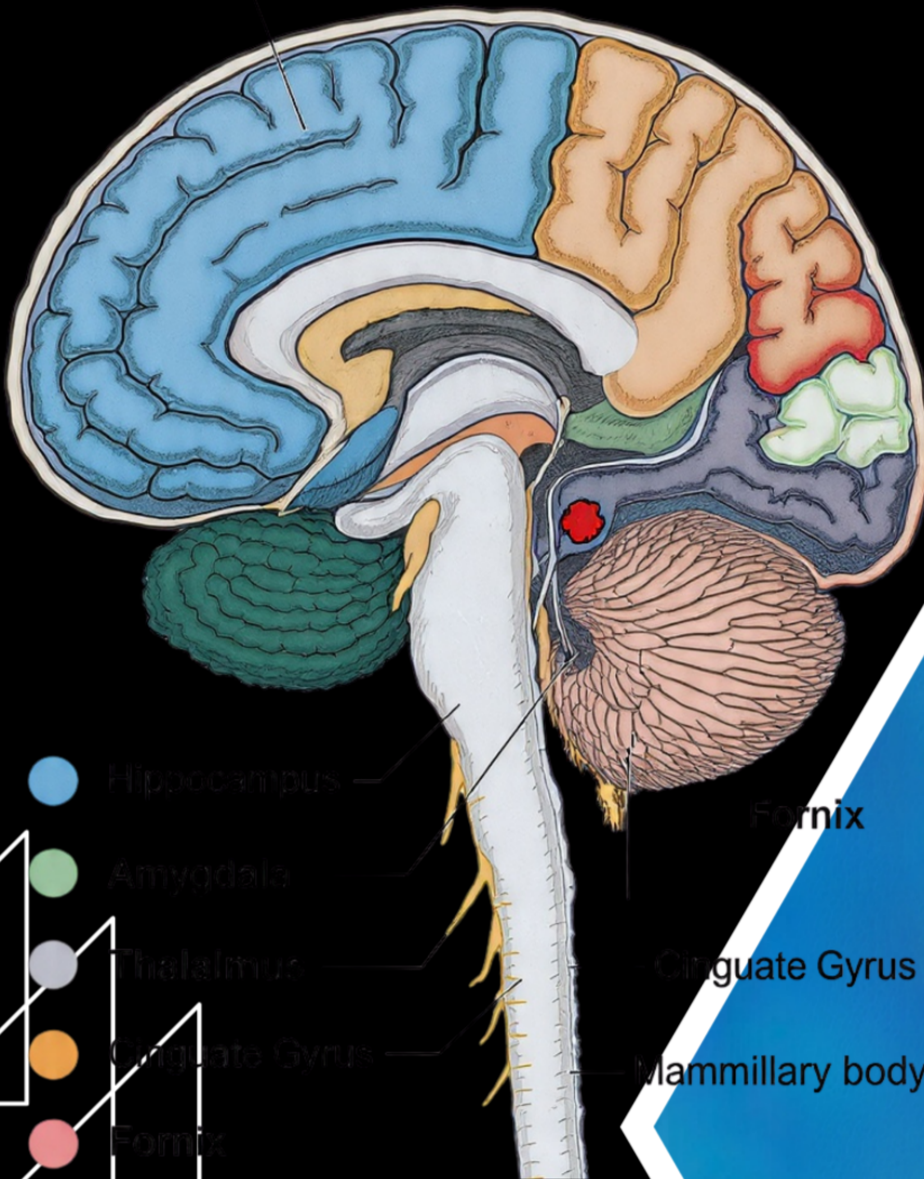
ويا لها من صداقة فنية راسخة تلك التي جمعته بالفنان محمد الكحلاوي، التي فتحت له الأبواب وسهّلت انتشاره، حتى أصبح أيقونة الفن البدوي في مصر، لا ينازعه على هذا اللقب أحد.

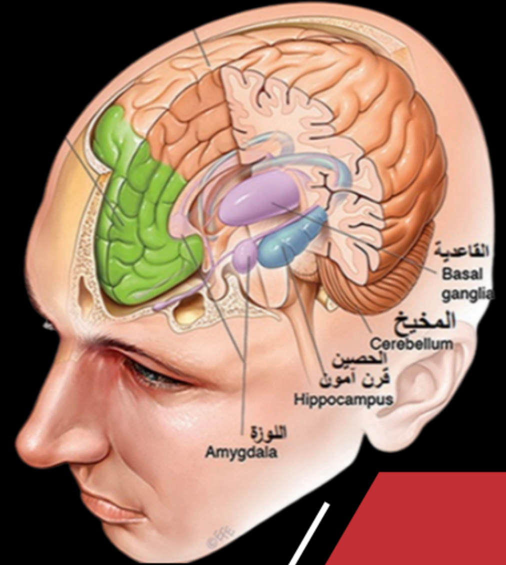
من ينسى تلك الأيام الجميلة، حين كانت المذياع صندوقاً للسحر؟ كانت أغنيات حميدة موسى — من قبيل: «يا مغرب ميعادك عدى وما جابوك»، «عرب يا مريم» — تشكل جزءاً من نسيج اليوم الإذاعي.
كانت إذاعة الإسكندرية تحديداً تحتفى به، فقلما يمر يوم دون أن تتردد ألحانه في بيوت السكندريين ومقاهيهم، تصاحبهم في صباحاتهم ومساءاتهم. كانت أغنية «أنت حلوة بالحيل» نشيداً بدوياً عاطفياً تردده الألسن وتخزنه القلوب.
لقد أبدع حميدة موسى في تشكيلة واسعة من الأنماط البدوية الأصيلة، من الطبيلة إلى ضمة القشة، ومن المجرودة إلى أغاني العلم، قدم مئات الأغنيات، كل منها كان هدية إلى جمهوره الذي أحبه وأدرك أصالته، فكانوا يزحفون إلى حفلاته زحفاً، يتشوقون إلى لقاء الصوت الذي يلامس وجدانهم.
من ينسى تلك الألحان التي صارت جزءاً من ذاكرة جيل؟

«بكرة السفر» التي تحمل لوعة الفراق، «مرحبتين أهلا يا زينة» الترحيبية الحارة، «طق عصاتين وخوذ منى» ذات الطابع الحواري البدوي الأصيل. ومن ينسى التعاون الأخوي مع شقيقه مصراتي في أغنية «عالشايب روفي يا بنية»، حيث يمتزج الصوتان والعزف على المزمار البدوي بمهارة مصراتي، فيقدمون لوحة فنية عائلية نادرة؟ ثم جاءت السبعينيات، ومعها رحيل الشقيقين مصراتي وحلومة إلى ليبيا، وبقي حميدة في مصر، وفياً لجمهوره العريض، مستمراً في رحلته الفنية وحيداً متفرداً، لكن صوته لم يكن ليحتاج إلى مرافق، فهو قادر بجماله أن يملأ الوجود. عندما نستمع اليوم لحميدة موسى، لا نستمع لمجرد أغنية، بل نستعيد زمناً جميلاً، زمن البساطة والأصالة، زمن كانت فيه الأغنية تحمل هوية واضحة وتاريخاً عريقاً. نستعيد زمن الإسكندرية الحقيقية، ببحارتها وبدوها، بمقاهيها المطلة على البحر وحاراتها الشعبية الدافئة.

الجهاز الحوفي

وسلوك الإنسان







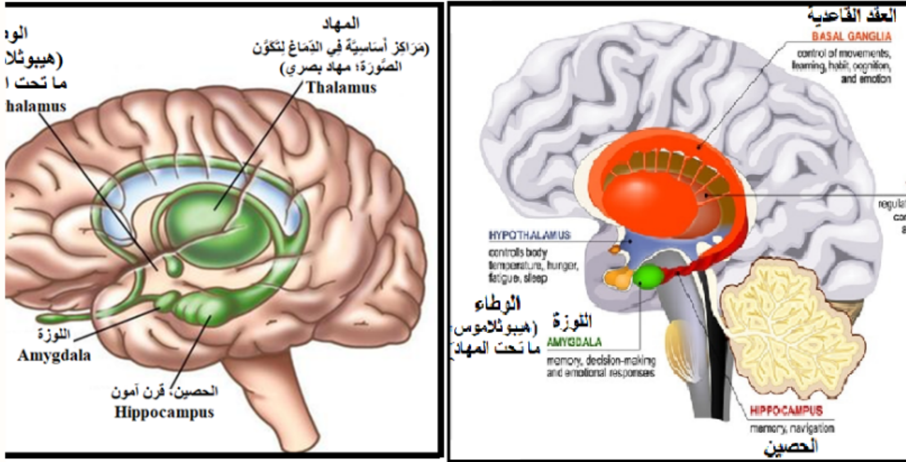
د.فايز البتانوني

الجهاز الحوفي

هو جزء من الدماغ يُشارك في استجاباتنا السلوكية والعاطفية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسلوكيات التي نحتاجها من أجل البقاء: التغذية، والتكاثر ورعاية صغارنا، والقتال أو الهروب.

ويمكنك العثور على هياكل الجهاز الحوفي مدفونة عميقًا داخل الدماغ، وتحت قشرة الدماغ (cerebral cortex) وفوق جذع الدماغ (brainstem).

ويُشارك في المقام الأول في الكشف والتعبير عن العاطفة.

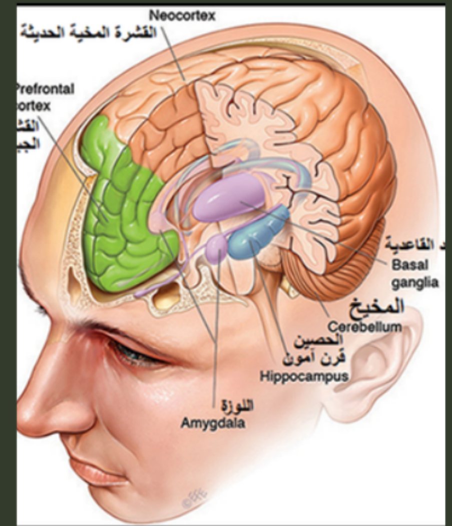


ويتكون الجهاز الحوفي من: الوِطاء (هايبوثلاموس؛ ما تحت المهاد) Hypothalamus، والمهاد (مراكز أساسية في الدماغ لتكوُّن الصورة؛ مهاد بصري) Thalamus، واللوزة Amygdala، والحصين (قرن آمون) Hippocampus، فهو مركز العواطف "المشاعر" emotions، والتعلم learning، والذاكرة memory. المدرجة في هذا النظام هي: التَّلْفيفُ الحِزامِيّ، وما تحت المهاد hypothalamus، واللوزة (ردود الفعل العاطفية) amygdala.

أ. الحصين (قرن آمون): HIPPOCAMPUS

الحصين جزء من الدماغ، يوجد في الطيات الداخلية للجزء الأوسط السفلي من الدماغ، والمعروف باسم الفص الصدغي.

ويأتي الاسم من الكلمات اليونانية: hippo، بمعنى الحصان، kampog، بمعنى الوحش، حيث يشبه شكله شكل فرس البحر seahorse. ويقع الجهاز الحوفي على حافة القشرة، ويشمل ما تحت المهاد Hypothalamus واللوزة Amygdala.



تساعد هذه الهياكل في التحكم في الوظائف الجسدية المختلفة، مثل نظام الغدد الصماء وما يُعرف عمومًا برد فعل "القتال أو الهروب" (fight" or flight" reaction).

الحصين والذاكرة: Hippocampus and memory

يقارن بين المثيرات الجديدة والقديمة، فإذا كانت هناك إحساسات مريحة فإنه يرسل إشارات كابِتة للقشرة المخية. أما إذا كانت هناك إحساسات غير مريحة فإنه يرسل إشارات مُثيرة للقشرة المخية.

ويلعب دورًا رئيسيًا في تشكيل المعلومات الجديدة ويحولها من الذاكرة قصيرة المدى إلى الذاكرة طويلة المدى، ثم يتم تخزينها في مكان آخر في الدماغ.

ويساعد الحصين البشر على معالجة واسترجاع نوعين من الذاكرة: الذكريات التقريرية declarative memories، والعلاقات المكانية spatial relationships.

وأظهرت الأبحاث أن الخلايا العصبية تستمر في التطور طوال فترة البلوغ. الحصين هو أحد الأماكن القليلة في الدماغ التي تتولَّد عنها خلايا عصبية جديدة.

وتلعب الخلايا الهرمية في الحُصين دورًا أساسيًا في التعلم والتكييف الكلاسيكي لطرفة العين، وهو نموذج قياسي لدراسة التعلم الترابطي associative learning.

وكشفت الدراسات التي تنطوي على تأخر طرفة العين أن الخلايا الهرمية تشكِّل نموذجًا تنبئيًا لتسلسل السعة الزمنية للاستجابة السلوكية المكتسبة. ويمكن أن ينخفض معدل الاكتساب أو يزيد عن طريق التلاعب بالحُصين. ويلعب الحصين دورًا مهمًا في تكييف التتبع، حيث يتم فرض فترة قصيرة بين الحالة والمحفزات (المثيرات) غير المشروطة. بعد تكييف رمش العين، يتم إنشاء لدونة عصبية طويلة الأمد في الحصين، وهو أمر ضروري لعملية التعلم في تكييف طرفة العين.

ويمثل إحدى الوظائف الرئيسية للحُصين في تكوين خريطة معرفية، وهي نوع من التمثيل العقلي المتعلق باكتساب المعلومات وترميزها وتخزينها واسترجاعها وفك تشفيرها في بيئة معينة.

والملاحة المكانية، وتُشارك خلايا المكان (وهي نوع من الخلايا الهرمية) بشكل أساسي في الملاحة المكانية بوساطة الحصين. ويتم تنشيط هذه الخلايا عندما يدخل حيوان إلى مكان معين في بيئته (مجال المكان)؛ ومع ذلك، تبقى هذه الخلايا صامتة عندما يتحرك حيوان خارج حقل المكان. إلى جانب مجال المكان، يعتمد معدل إطلاق خلايا المكان على اتجاه الحركة أو اتجاه الوجهة أو العوامل الأخرى ذات الصلة بالمهمة.

ويلعب الحصين دورًا حيويًا في السلوك المرن والموجَّه نحو الهدف flexible and goal-directed behavior. نشاط مطلوب حصين سليم لتشكيل وإعادة بناء الذاكرة العلائقية relational memory (مطلوب لتذكر الارتباطات التعسفية بين الأشياء أو الأحداث) المرتبطة بالإدراك المرن والسلوك الاجتماعي. كشفت العديد من الدراسات أن أي تلف في الحصين يمكن أن يضعف الاستخدام المرن للمعلومات وينتج سلوكًا غير ملائم maladaptive behavior.

قام "جيمس" وآخرون "James et al."، 1995" بدراسة بعنوان: (لماذا توجد أنظمة تعلم متكاملة في قرن آمون (هيبوكامباس) واللحاء: آراء من النجاح والفشل ونماذج منطقية للتعلم والذاكرة). وكانت نتائج الدراسة:

1. أن تلف نظام الهيبوكامباس يعطل عمل الذاكرة الحديثة (Recent Memory) ولكن لا يؤثر على الذاكرة البعيدة (Remote Memory)، وتبقى على حالتها سليمة.
2. أن الهيبوكامباس يعتبر المخزن الأول الذي تمر خلاله الأحداث (الذكريات)، ويحدث لهذه الذكريات تغيرات تؤثر على قشرة المخ (أماكن الاحتفاظ بالأحداث).
3. أن نماذج التعلم التي تعتمد على التغير في العلاقات المنطقية (للمادة المتعلمة أو الأحداث) تساعد في تفسير التنظيم داخل الذاكرة.
4. من النماذج: التعلم عن طريق الاكتشاف في مجموعة متناسقة من العبارات المنتظمة بصورة تدريجية، يساعد على تعلم المفردات.
5. أنظمة الهيبوكامباس هي أول ما تستقبل الأحداث الابتدائية التي تسمح للتعلم السريع للمفردات الجديدة، ثم يتم وضعها بين المطبوعات الحديثة في الذاكرة، ثم يتم اندماجها في تركيب أنظمة الذاكرة بقشرة المخ.

(ويرى الباحث أن أماكن الاحتفاظ بالأحداث على جدار القشرة المخية، وهو يطلق عليه الذاكرة المستديمة أو طويلة المدى).

يشير "بلوم" ولازرسون" "Bloom & Lazerson"، 1996"، إلى دراسة قام بها "أولتون وآخرون" "Olton et al."، 1980"، بعنوان: "وظيفة الهيبوكامباس" وعلاقته بالذاكرة العاملة أو الخرائط المعرفية. استخدم الباحثون متاهة صُمِّمت على نفس الطريقة التي تتحرك بها الفئران في البراري.

كل ذراع في المتاهة يوجد بها طعام في نهاية الذراع، كما هو الحال في الطبيعة. وكانت مشكلة الفأر هي أن يتذكر الأماكن التي ذهب إليها بالفعل، حتى يتمكن من الذهاب إلى أماكن جديدة لم يأكل ما بها من طعام. بعد عدة لفات، تعلمت الفئران طبيعة المتاهة لدرجة أنها لم تمشِ في طريق واحد مرتين.

عند استئصال "الهيبوكامباس"، سلكت نفس الطرق مرات عديدة، وكانت غير قادرة على تذكر

الطرق التي سلكتها والطرق التي لم تسلكها بعد، وبذلك فقدت الفئران القدرة على الذاكرة العاملة "Working memory".

(يلي ذلك تكرار للدراسة السابقة لجيمس وآخرون، وقد اكتفيت بضبطها مرة واحدة، ويمكن حذف التكرار)

قام "كارلزيمو وآخرون" "Carlesimo et al."، 1997" بدراسة بعنوان: "النسيان من الذاكرة طويلة المدى في حالات إصابات الرأس الشديدة" "Forgetting From Long-Term Memory In Severe Closed-Head Injury"، حيث تم فحص النسيان طويل المدى في المرضى المزمنين الذين على قيد الحياة والمصابين بإصابات الرأس المقفولة (C.H.I) "Closed-Head Injury". وكان الأداء يتضاءل على الاختبار من 30 ثانية إلى 60 دقيقة.

وتم استخدام أربع طرق لأداء الذاكرة (المؤثرات غير المترابطة من الاستدعاءات الحرة، المؤثرات المترابطة من الاستدعاءات الحرة، الاستدعاءات بالإشارة، والتعرف بنعم ولا) على عينة من 20 حالة تتراوح أعمارهم بين 14 و43 سنة للمرضى المزمنين والمصابين بإصابات الرأس المقفولة (C.H.I)، و20 حالة طبيعية كمجموعة ضابطة تم اختيارهم بطريقة طبيعية. وتم عقد مقارنة بين أداء 30 ثانية تأخر في حالات المرضى المزمنين والمصابين بإصابات الرأس المقفولة والحالات الطبيعية من خلال أوقات التعرض لدراسة مادة أثناء مرحلة التعلم.

وكانت نتائج الدراسة: أوضحت أن سرعة النسيان في المرضى المزمنين والمصابين بإصابات الرأس المقفولة في الاستدعاء الحر في القائمة المترابطة فقط. أيضًا المصابون بإصابات الرأس المقفولة والذين يعانون من إصابة بؤرية في الفص الصدغي، أوضحت النتائج وجود انتقاصات مسترجعة ومشفَّرة، وهي مميزة لاضطرابات الذاكرة في المرضى عن الحالات الطبيعية، وظهرت الآثار في الاسترجاع المشروط والتنظيم اللفظي "التنظيم ذو المعنى".

ثانيًا: دراسات وأبحاث تُسهم في تفسير عمليتي الاحتفاظ والنسيان في الذاكرة:

التغيرات التي تحدث بعد تضرر الحصين:

في حالة تلف أحد جزأين من الحصين أو كليهما بسبب أمراض مثل مرض الزهايمر Alzheimer's disease، أو إذا أُصيب في حادث، فقد يعاني الشخص من فقدان الذاكرة أو فقدان القدرة على تكوين ذكريات جديدة طويلة المدى.

وقد لا يتمكنون من تذكر بعض الأشياء التي حدثت قبل فترة وجيزة من تلف الحصين، ولكن قد يظلون يتذكرون الأشياء التي حدثت منذ فترة أطول؛ وذلك لأن الذكريات طويلة المدى تُخزَّن في جزء آخر من الدماغ بمجرد أن تصبح طويلة المدى.

ويمكن أن يتسبب تلف الحُصين في صعوبة تذكر كيفية الانتقال من مكان إلى آخر. قد يكون الشخص قادرًا على رسم خريطة للحي الذي عاش فيه عندما كان طفلاً، ولكن العثور على الذهاب إلى متجر في منطقة جديدة قد يكون صعبًا.

ويعتبر الحصين من أولى المناطق التي تأثرت بمرض الزهايمر. من العلامات المبكرة لمرض الزهايمر عندما يبدأ الشخص في فقدان ذاكرته قصيرة المدى. وقد يجدون أيضًا صعوبة في اتباع التوجيهات. ومع تقدم المرض، يفقد الحُصين الحجم، ويصبح من الصعب العمل في الحياة اليومية.

وتشير عمليات التشريح إلى أن ما بين 50 و75 في المائة من الأشخاص المصابين بالصرع لديهم تلف في الحصين. ومع ذلك، ليس من الواضح ما إذا كان الصرع هو سبب أو نتيجة هذا الضرر.

والأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب الشديد يفقد الحُصين الحجم.

ويبدو أن مرض الزهايمر Alzheimer's disease، والاكتئاب depression، والتوتر stress، مرتبطة بالحُصين صغير الحجم smaller-sized hippocampus.

ب. اللوزة: Amygdala

تصل الإشارات بين الجهاز الشمي والقشرة المخية، وهي المسؤولة عن تقديم ذكريات وجدانية تتعلق بالشم، وتؤثر على السلوك الانفعالي وخاصة الغضب. وتسمى أحيانًا مركز العدوان centre aggression. لقد أظهرت التجارب بالفعل أنه إذا قمت بتحفيز اللوزة Amygdala، يمكنك أن تنتج مشاعر الغضب والعنف feelings of anger and violence، والخوف والقلق fear and anxiety. ومع ذلك، إذا قمت بتدمير اللوزة الدماغية الخاصة بك، فقد يُسبب ذلك تأثيرَ ليونة mellowing effect. هذا هو السبب في أن البنزوديازيبين يُستخدم للسيطرة على هجوم القلق.

ج. المهاد: Thalamus

بمثابة محطة ترحيل لجميع المعلومات الحسية (البصرية، والسمعية، والتذوق، واللمس) باستثناء الشم، التي تأتي وتذهب إلى القشرة من خلال الأعصاب، وينتهي بها المطاف في المهاد. فتقع به مراكز الأفعال الإرادية والعواطف والذاكرة. ويلعب دورًا في الإحساس بالألم pain sensation، والانتباه attention، واليقظة alertness، والذاكرة memory، وفي عمليات الانتباه للغة والصور البصرية، وتنظيم الانفعالات. وفي حالة إصابة المهاد بعطب أو خلل، فإن ذلك يؤدي إلى تضخيم عمليات ردود الأفعال اللاإرادية.

فالمهاد (الثلاموس) ينقسم إلى ثلاث مناطق لتوصيل المعلومات هي:

1. تجمع الأجسام المنحنية (تشبه الركبة) الجانبية Lateral Geniculate Nucleus (LGN): محطة لتوصيل المعلومات البصرية إلى منطقة الإبصار في الفص الخلفي للقشرة

2. تجمع الأجسام المنحنية الأوسط Medial Geniculate Nucleus (MGN): محطة لتوصيل المعلومات السمعية إلى منطقة السمع في الفصين الصدغي للقشرة.

3. عقدة (أو تشكيل) باسال الباطنية Ventrobasal complex: وهذه العقدة مكونة من ثلاث أجسام أو أقسام، وهي محطة لنقل المعلومات الحسية عبر مسالك الإحساس البدنية والذوقية، محاور الخلايا الناقلة للأحاسيس من الجسم إلى الخلايا في تلك المناطق، ومنها تصل إلى مناطق الأحاسيس المختصة في القشرة.

د. الوِطاء (هايبوتلاموس؛ ما تحت المهاد): Hypothalamus

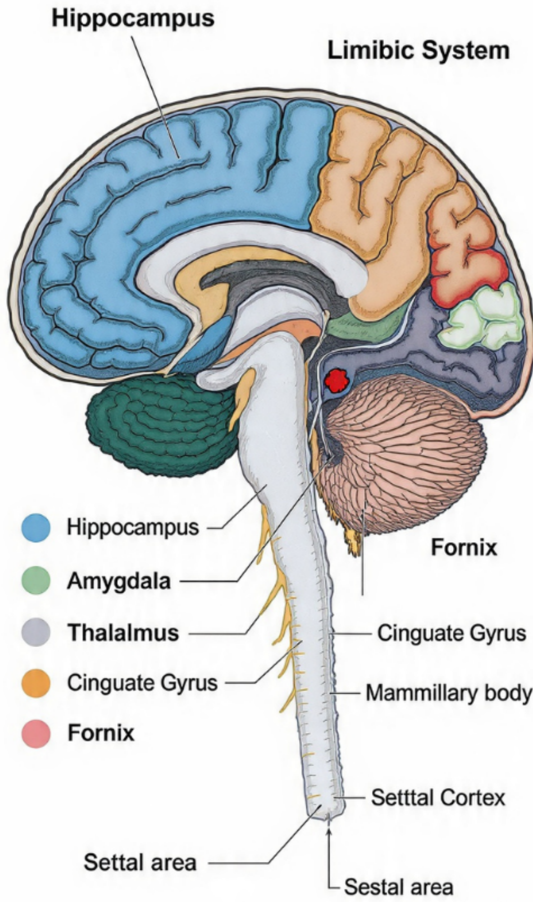
يلعب دورًا في تنظيم النظام العصبي اللاإرادي الذي يرتبط بالعواطف.
ويتحكم في الجهاز العصبي اللاإرادي مثل: تنظيم الحرارة، وعمليات الأيض، والتكاثر، والجوع والعطش، ودرجة الوعي، وكذلك يحتوي على مراكز المشاعر مثل: الغضب، والخوف، والألم، والمتعة.

وظائف تحت المهاد:

إن الهايبوثلامس يتحكم بتلك الوظائف والسلوكيات بطريقتين أساسيتين هما:
أولاً: إصدار إشارات عصبية كهربائية إلى الجهاز العصبي المستقل.
ثانيًا: إصدار إشارات كيميائية (هرمونات) من خلال الأوعية الدموية إلى الغدة النخامية.

1. التحكم في وظائف الفص الخلفي للغدة النخامية (هو المكان الذي يُفرز هرمون رافع الضغط وهرمون معجِّل الولادة)، وبالتالي بشكل غير مباشر، تحت المهاد يتحكم في هذين الهرمونين.
2. التحكم في وظائف الفص الأمامي للغدة النخامية.
3. لها تأثير مباشر وغير مباشر لهذه الهرمونات.
4. التحكم في الجهاز العصبي اللاإرادي بقسميه (السمبثاوي والباراسمبثاوي).
5. التحكم في إفراز الماء بالذات من خلال إفراز (الهرمون المضاد لإدرار البول).
6. إذا قلَّل تحت المهاد من إفراز هذا الهرمون، سيزيد إدرار البول، فيُصاب الشخص بما نسميه (السكري الكاذب).
7. يُفرز هذا الهرمون من تحت المهاد، والغدة النخامية عبارة عن مخزن للهرمون فقط.
8. تنظيم الطعام، حيث يوجد مركز الجوع والشبع في منطقة تحت المهاد.
9. التحكم في درجة حرارة الجسم.
10. التحكم في النوم واليقظة، فإذا تلف الجزء الخلفي من تحت المهاد يؤدي إلى النوم العميق المستمر.
11. التحكم في ضغط الدم من خلال تأثير تحت المهاد في إنقاص واتساع الأوعية الدموية، وهذا من خلال تحكمه في الجهازين السمبثاوي والباراسمبثاوي.
مثلاً: جهاز السمبثاوي يرفع الضغط، والباراسمبثاوي يُخفضه.

12. التحكم في السلوك الانفعالي من خلال سيطرته على الجهاز العصبي اللاإرادي (السمبثاوي والباراسمبثاوي).
13. التحكم في عمليات التذكر والتعلم، خصوصًا الذاكرة للأحداث القريبة.
14. التحكم في الجنس.
15. التحكم في السلوك العدواني.



خمسون عامًا من العطاء في بلاط الصحافة



عيد وحيده

في زمن تتسارع فيه وتيرة الأخبار وتتباين فيه مستويات الأداء المهني، تبرز نماذج صحفية حافظت على اتزانها واستمراريتها عبر عقود طويلة، ومن بينها تجربة الصحفي عيد وحيدة، الذي ارتبط اسمه بالعمل الجاد والالتزام داخل الوسط الصحفي في الإسكندرية وغرب الدلتا.

مسيرة عيد وحيدة



د . حماد الرمحي

عيد وحيدة عضو بنقابة الصحفيين المصريين، ويمتد حضوره المهني لأكثر من خمسين عامًا، تنقل خلالها بين مواقع تحريرية وإدارية متعددة، ويعمل حاليًا مديرًا لمكتب جريدة وموقع "اليوم" بالإسكندرية وغرب الدلتا، وهو الدور الذي يشغله منذ ما يقرب من تسعة عشر عامًا، مواصلًا من خلاله حضوره في العمل الصحفي اليومي



صحف تولى قيادتها

تولى خلال مسيرته إدارة عدد من الصحف الصادرة بتراخيص رسمية، من بينها التعاون، السياسي المصري، الحياة، الميدان، الديار، والكنانه، حيث ساهم في متابعة العمل التحريري وتنظيم فرق العمل، مع الحفاظ على استمرارية الإصدارات في بيئات إعلامية متغيرة.

ومن الجوانب اللافتة في تجربته المهنية اهتمامه بإعداد كوادر صحفية شابة، إذ شهد مكتبه في منطقة الإبراهيمية بالإسكندرية تخرج عدد من الصحفيين والإعلاميين الذين التحق بعضهم بنقابة الصحفيين،



بينما اتجه آخرون إلى العمل في مجالات الإعداد والتقديم في وسائل الإعلام المختلفة، وهو ما أسهم في ترسيخ حضوره كأحد الأسماء المؤثرة مهنيًا داخل الإقليم





حكايته مع " سكندريات "

وعلى مستوى الكتابة، قدم عبر سنوات طويلة مقالًا ثابتًا بعنوان "سكندريات"، تناول فيه موضوعات محلية مرتبطة بالمجتمع السكندري، بأسلوب مباشر يعكس متابعة مستمرة لقضايا الشارع.

أنشطته الإجتماعية وروح القيادة



يقود فريق عمل يضم عشرات الصحفيين، في إطار مهني يقوم على التعاون وتبادل الخبرات، بما يساعد على استمرارية الأداء داخل المؤسسة.
كما شارك في عدد من الأنشطة المجتمعية، من بينها عمله نائبًا لرئيس نادي أصدقاء الإعلام السكندري، ونائبًا لجمعية القبائل العربية بالإسكندرية.

تكريمات ودكتوراة في الصحافة

حصل على عدد من التكريمات المهنية خلال مسيرته، تقديرًا لإسهاماته في العمل الصحفي، بينما تظل تجربته ممتدة في سياقها العملي، بما يعكس نموذجًا للاستمرارية المهنية في الصحافة الإقليمية.



تسريبات من مقر إبليس (٢)

عودة إبليس



د.إبراهيم شعبان

ذهب إبليس إلى الحج كما وعد، بعد أن تدهورت صحته مما رآه من الموظف الكبير، والذي كان بالصدفة رئيس أحد الأحياء الراقية، وقال: "واللّٰه لأتوبنَّ توبةً نصوحًا، لا أعود بعدها لغواية البشر... رغم إني وعزتك وجلالك لم أدعُ أحدًا إلى شيء مما فعله هذا الموظف، ولكنه هو الذي اخترع هذه الأساليب من المزج بين الرشوة والدروشة". وطار إلى مكة المكرمة متمتمًا في نفسه: "ألم أقل لك يا ذا الجلال والإكرام أن هذا البشري الذي أمرتني بالسجود إليه ما هو إلا حقير؟ ولن أسجد لهذه القذارة مهما توعدتني بأسوأ آيات العذاب. ولكنك بحكمتك قلت: (إني أعلم ما لا تعلمون)، وأخرتني إلى يوم الدين... ها أنا ذا أسألك: أكنت تعلم أنه بهذه الخِسَّة والقذارة كما رأيت بعينيَّ؟... ها أنا ذا ذاهب إلى الحج لأتوب عن ما وعدتك به، حيث قلت:

(وعزتك وجلالك لأغوينَّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)، فما استطعت غوايتهم كما يجب، فهم أكثر مني فَهْمًا لأساليب الغواية ودعمها بالتنسك والدروشة... إني قادم..."

وصل إبليس ووقف بعرفة في أعلى الأعالِي من الجبل، رافعًا رأسه إلى السماء، يطلب من اللّٰه السماح والمغفرة، وأنه تنازل عن وعده له لغواية البشر: "ربِّ، ها أنا ذا أتنازل عن وعدي لك لغواية البشر إلى الشر والكفر، لكن وعزتك ما رأيت أخبث منهم أبدًا، فليس لي عليهم سبيلاً... من قال لك أني أغويت آدم وزوجته فهو كاذب وآثم، هو الذي عصى أوامرك له عامدًا متعمدًا، ورأى في حواء الحسناء جوهرةً فانقض عليها كالثور، وقد أبت حتى يأتيها بثمرة هذه الشجرة، فأكلا فأنجبا... قل لي يا إلهي: من أين أنجبتُ هابيل الطيب الأهبل وزوجته الحسناء؟ ثم من أين جئتُ بقابيل الحقود الشرير وزوجته الممسوخة، ولم يكن هناك غير آدم؟... أليس من الممكن أنه فعل فعلتها مع أحد آخر غير آدم؟ وخلقُك كثير لا

يعلمهم إلا أنت... ولا يزال البشر يتبركون باسم قابيل الشرير إمعانًا في الرغبة في الشر، ولا أحد يسمي ابنه هابيل، أرأيت ما أرى؟... على كلٍ، أرجو أن تغفر لي، وسأذهب إلى باقي المناسك..."

هبط إبليس من الجبل ليستريح هُنَيْهَةً، ودخل إحدى الخيام الكبيرة لعلَّه يجد فيها ناسكًا فينصت إليه. ولكن من عجائب الدنيا أنه صادف جمعًا من الوزراء وبعض كبار الموظفين وبعض رجال الدين الأفاضل ممن يسمع عنهم، ويفصل عنهم خيمة أخرى فيها عدد كبير من الراقصات والممثلات اللاتي يَسِلُ لهن اللعاب. فغفا في نومه خارج الخيمتين، وإذا به يسمع همسًا بين ذكر وأنثى: "يا سيدة الجمال، ألم نتفق أن نتقابل كل أربعاء بعد صلاة العشاء؟ لماذا تخلفت هذا الأسبوع؟" — "يا شيخ عبد الصبور، كن صبورًا.. المِتْنَيْل على عينه لم يخرج إلى القهوة كعادته، ولكن وعدًا مني لن أتخلف عن موعدنا حتى في رمضان." — "وبماذا ستتحججين في هذا الشهر العظيم؟" — "جري إيه يا شيخ؟ زي ما فيه

درس دين كل أربعاء، فيه صلاة تراويح كل يوم في رمضان." ثم سمع ضحكة رقيقة تَلَتْها قُبْلَة، ليفتح عينه ليرى الحضن اكتمل.

بُهِتَ إبليس وذهب إلى ركن آخر لعله يجد سَلْوَةً من الدعاء الطيب، لكنه كان حوارًا بين اثنين: "لَمَّيْتَ كام من البيوت اللي من غير تراخيص؟" — "يا باشا، اصبر، أنا حمار يعني تعدي عليه دِيَّة؟" — "طبعًا كاش يا باشا. اصبر كمان، العيال المقاولين بتوع الرَفْع اتفقت معاهم يعملوا طبقة فوق الوش بس، وحنصص سوا. وجبت شركة صيانة للطرق غير الصرف والمياه والكهرباء والنظافة، عَدَّاد بيَعُدّ على طول يا باشا، ربنا يبارك لنا فيك. حسابك في العداد في ألمانيا أبقى راجعة وهتدعيلي." — "طيب سيب الموضوع ده... أنا عجباني البنت السكرتيرة بتاعتك، أبقى رُدَّها بعد ما نرجع." — "لا تطمن، هي فاهمة ومعجبة بيك، وبتعد برضه..."

لم يصبر إبليس على كل ذلك، وقال: "أنا مالي؟ سأطوف قبلهم". وذهب مبكرًا للطواف، ثم راح ليرجم إبليس كما يرجمون، لعل اللّٰه يتقبل توبته ويعفيه من هذا العمل. فإذا بالجميع، ومنهم المشايخ وكبار القوم والوزير والمحافظ ورئيس الحي وموظفين من كل صِنْف، يسبون إبليس بأقذر اللعنات. وكان يود أن يجاهرهم بالظهور عيانًا ويعلن لهم أنه لم يدعُ إلى الشر إلى هذا الحد، ولكنه صمت وبكى وأدمع، وقال: "واللّٰه إني سأستقيل حتى لو لم تُقبل الاستقالة..."





حكايات لا تؤجل

حين تصمت الكلمات أمام الألم هناك آلام لا تُختصر في خبرٍ ، ولا تُقال في سطرٍ ، لأنها تسكن الذاكرة وترافق أصحابها كل يوم .

وجع الوطن ليس رقماً في إحصاء ، بل وجوه نسوة حملن الفقد صامتاً ، وأمهات ينتظرن عودة لا تعرف موعداً ، وزوجات تعلّمن الصبر قسراً ، وأطفال كبروا قبل أوانهم .

نسوة الشهداء لسن حكايات عابرة ، بل ذاكرة وطن دفعت أغلى أثمانه .

يحملن مسؤولية الحياة وحدهن ، بين غياب المُعيل وثقل التربية ، وبين الوفاء لتضحيات لا يجوز أن تُنسى أو تُهمّش .

أما الجرحى والمبتورون ، فقصتهم لا تنتهي عند الإصابة ، بل تبدأ مع معاناة العلاج ، وقلة الرعاية ، وصراع التكيّف مع واقع جديد يحتاج إلى دعم حقيقي لا شعارات .

إن حفظ الكرامة يبدأ بالإعترافِ ، والإنصاف يبدأ بالفعلِ . هؤلاء ليسوا ملفات مؤجلة ولا قضايا موسمية ، بل حقوق واجبة على الدولةِ والمجتمع معاً ، رعاية شاملة ، دعم نفسي وإجتماعي ، ضمانات قانونية ، وتعويض عادل ، قبل أي حديث عن طيّ الصفحات .

وجع الوطن



فريحة المريمي
صحفية ليبية

وفي زاوية الألم الأعمق ، يقف المفقودون ، حيث لا عزاء مُكتمل ولا وداع ، فقط أنتظار طويل ينهك القلوب ، ويترك الأسر معلّقة بين الأمل والخوف .

وكذلك ضحايا التفجيرات والخطف والتغييب القسري ، الذين تحوّلت حياتهم إلى فصول من القلق الدائمِ ، في ظل غياب العدالة وتأخر الإنصاف .

حين تصمت الكلمات أمام الألم ، يجب أن يتكلم الضمير . فالوطن الذي لا يُنصف جراحه ، لا يبرأ .
والذاكرة التي لا تُصان ، تعود وجعاً مضاعفاً .
إنصافهم ليس منّة ، بل واجب ، والوفاء لهم هو الطريق الأقصر ، إلى مصالحة حقيقية مع الوطن .



الحرب الأمريكية الايرانية

من نطنز الى هرمز

كيف يعيد ترامب كتابة الحقيقة







الخبير الإستراتيجي
عميد . سمير راغب







من نطنز الى هرمز

كنتُ جالساً في أحد مقاهي وسط القاهرة قبل أسابيع قليلة، حين أرسل إليّ صديق "خبير قديم" رسالةً هاتفية تقول: "سمير، لم أشهد في مسيرتي كلها زعيماً يخوض حرباً بأسلحة الكلمات أكثر مما يخوضها بأسلحة حقيقية."

وضعتُ الهاتف جانباً ، ورفعتُ عينيّ نحو الشارع. كانت وجوه المارة تحمل من التعب ما لا تحتاج معه إلى حرب أخرى؛ وجوه تتصارع مع غلاء المعيشة، وثقل الغد المجهول، وأحلام يأكلها الضغط يوماً بعد يوم. وفي تلك اللحظة انشطر عقلي إلى نصفين: نصف يُحلّل البيانات ويُجمّع المؤشرات الاستخباراتية ويرى حرباً قادمة لا محالة، ونصف آخر يتساءل: هل يدرك صانعو القرار في واشنطن أن كل صاروخٍ سيُطلق من حاملة أمريكية سيُسقط ورقة عمل لأسرةٍ عربية تعمل في الخليج العربي ،و ترفع اسعار الوقود في القاهرة، أو يُغلق متجراً في بيروت، أو يرفع سعر رغيف في بغداد؟ صديقي الخبير كان يرى أن الأمر لن يتجاوز أسلحة الكلمات. أما أنا، فكنتُ أرى ما هو أثقل بكثير.

كنا مساء الجمعة حين صرحت على إحدى القنوات الإخبارية إن عمليةً عسكريةً أمريكية ضد إيران ستنطلق خلال الثمانية والأربعين ساعة القادمة. وبدأت بالفعل العملية التي أطلق عليها "الغضب الملحمي"، يوم السبت ٢٨ فبراير ٢٠٢٦. ثم تذكرتُ شيئاً أكثر إزعاجاً: أن هذا الرجل نفسه كان قد وقف في يونيو 2025 ليُعلن أمام العالم أنه "قضى على البرنامج النووي الإيراني"، وأن الضربات على نطنز وفوردو وأصفهان كانت "نهايةً فعّالة للتهديد النووي". ثم عاد في مارس 2026، بعد تسعة أشهر فقط، ليؤكد أن "البرنامج النووي الإيراني ما زال الخطر الأكبر في المنطقة". رجلٌ واحد، روايتان متناقضتان، وحربٌ واحدة تدفع ثمنهما مليارات البشر بشكل مباشر في إيران أو دول الخليج العربي وصولاً للقارات الخمسة.

أولاً: القضاء على ما لم يُقضَ عليه

في يونيو 2025، صعد ترامب إلى المنصة وأعلن بثقة من يعرف: "قمنا بتدمير البنية النووية الإيرانية. لم يعد لإيران برنامج نووي حقيقي." كان يُسوّق ذلك كـ"إنجاز تاريخي" غير مسبوق، وكان الجمهور الأمريكي يُصفّق.

لكن ماذا كان يجري على الأرض؟ قالت طهران إن الضربات أثّرت على بعض المنشآت السطحية، لكن البنية التحتية ومعدات أجهزة التردد المركزي الجوهرية لم تُمسّ. وبعدها بأشهر، أشارت تقارير دولية إلى أن إيران أعادت تشغيل أجزاء من منشآت التخصيب، وربما سرّعت بعض جوانبها التقنية استجابةً للضغط. أي أن الضربة لم تُنهِ البرنامج بل دفعته إلى العمق، نحو مزيد من الإخفاء والتحصين في منشأة جديدة على عمق حوالي ١٠٠ متر من الجبل الجرانيتي (جبل الفأس).

هذا هو جوهر الكذبة الأولى: ترامب قال إنه "قضى" على ما لم يقضِ عليه. ثم حين احتاج إلى تبرير حرب جديدة، استعاد نفس "الخطر" الذي زعم أنه أزاله. الخطاب النووي عنده ليس تقييماً استراتيجياً لإدارته أو دوائر صناعة القرار، بل أداة دعائية متغيّرة الشكل حسب الحاجة السياسية.

ثانياً: "انتصرنا في أول ساعة"، والصواريخ لا تزال تتساقط

حين انطلقت عملية "الغضب الملحمي" في 28 فبراير 2026، لم ينتظر ترامب يوماً كاملاً ليُعلن أن الولايات المتحدة "انتصرت على إيران في أول ساعة من الحرب". جملة واحدة، بثقة مطلقة، عبر منصته المعتادة.

لكن في الساعة ذاتها التي كان يكتب فيها هذه الكلمات، كانت إيران تُطلق صواريخها وطائراتها المسيرة، وكانت تقارير البنتاجون تتحدث بلغة مغايرة تماماً عن طبيعة المواجهة. لاحقاً، حين ادّعى

أن أمريكا دمّرت "ما يقارب 100٪ من القدرات العسكرية الإيرانية" في القطاعات الصاروخية والجوية، كان الحرس الثوري الإيراني يُعلن عن إطلاقات جديدة، وكانت الصور الفضائية تُكذّب الأرقام المُعلنة.

هذا نمط مألوف في تاريخ الحروب الأمريكية: إعلان الانتصار قبل أن تنتهي المعركة. لكن ترامب أخذه إلى مستوى جديد ، إعلان الانتصار قبل أن تبدأ المعركة فعلياً.

ثالثاً: "حرب قصيرة" و"رحلة سريعة"، والعتاد يتدفق

طوال أسابيع عملية ما اطلق عليه"الغضب الملحمي"، لم يتوقف ترامب عن وصف الحرب بأنها "رحلة قصيرة" و"نزاع سريع الحسم". تحدث مرة عن "أسابيع قليلة"، ومرة عن "أربعة إلى ستة أسابيع"، ومرة ثالثة عن "حرب الاثني عشر يوماً" كما لو أنها مسألة محسومة الجدول الزمني.

في الوقت نفسه، كانت إدارته تُرسل طلبات جديدة إلى الكونجرس لزيادة التعزيزات في الخليج، وتُوزّع القوات، وترفع مستوى جاهزية الحاملات. صحيفة "نيويورك تايمز" وصفت هذا التناقض بين الخطاب العلني والقرارات العملياتية بأنه "تضليل مُمنهج للرأي العام"، لأن الحكومة كانت تفعل عكس ما يقوله رئيسها.

لماذا؟ لأن ترامب يعرف، غريزياً، أن الشعب الأمريكي بعد أفغانستان والعراق لن يتسامح مع حرب طويلة. فالحل: أعلن أنها قصيرة، وابدأ في خطة تمديدها بهدوء، واشغل الرأي العام بضجيج التصريحات والتغريدات.

رابعاً: "إيران تريد التفاوض"، والواقع عكسه

من أكثر الادعاءات غرابةً ما كرره ترامب عن رغبة إيران الفورية في التفاوض. وصف طهران بأنها "تستعد للحوار" و"تطلب وقف إطلاق النار"، في محاولة

لتصوير نفسه رجل السلام الذي يلحق به خصومه مُطالِبين بالهدنة.

لكن لا المسؤولين الإيرانيين، ولا الوسطاء الدوليين، ولا أي تسجيل دبلوماسي واحد أكّد هذه الصورة. بل إن طهران كانت ترفع سقف تصريحاتها وتضخّ خطاباً دفاعياً صلباً. الأقرب إلى الحقيقة أن ترامب استخدم هذا الادعاء لهدف داخلي بحت: إقناع الأمريكيين بأن حربه "تُؤتي ثمارها"، وأن الخصم يُقرّ بالهزيمة، حتى حين كان الخصم لا يُقرّ بشيء.

خامساً: "هرمز حرٌّ وآمن وبلا رسوم"، والمضيق لم يتغير سيّده

ثم جاءت الكبرى. وقف ترامب ليُعلن أن عملياته العسكرية "فتحت" مضيق هرمز بحرية كاملة وبدون رسوم أمام السفن العالمية، وتوعّد بردٍّ قوي إذا حاولت طهران تحصيل أي رسوم عبور. الصورة التي أراد رسمها: أمريكا أعادت للعالم شرياناً نفطياً كانت إيران قد احتجزته رهينةً.

لكن طهران لم تفرض رسوماً رسمية على العبور أصلاً ، فما كان "مغلقاً" لم يُفتح، لأنه لم يُغلق بالطريقة التي يصفها ترامب. ما جرى كان تهديدات متبادلة وتضييقاً أمنياً وتحذيرات ملاحية، لا إغلاقاً رسمياً يستلزم "فتحاً" أمريكياً. والمضيق جغرافياً لا يزال تحاذيه من شماله سواحل إيرانية طويلة. أن تقول إنك "فتحت" مضيقاً يمتد خصمك على شاطئه الشمالي كله ، هذا ليس انتصاراً، هذا بيانٌ صحفي في الهواء.

سادساً: "إيران سلّمت اليورانيوم بلا مقابل"، والصفقة التي لم تُكتب

هنا يبلغ خطاب ترامب ذروة جرأته. زعم أن طهران "وافقت" على نقل كامل مخزونها من اليورانيوم المخصب بنسبة 60 بالمئة ، نحو 450 كيلوجراماً ، إلى الولايات المتحدة، وأن ذلك جاء دون أن تحصل إيران على فلس واحد من أموالها المجمدة في البنوك الأجنبية. "انتصار نظيف"، كما أراد تقديمه.

الواقع أكثر تعقيداً بكثير. تحدثت تقارير "أكسيوس" وغيرها عن عرض أمريكي مبدئي يربط التنازل عن جزء من المخزون النووي بإفراج واشنطن عن نحو 20 مليار دولار من الأموال الإيرانية المجمدة ، أي أن "عدم دفع أي شيء" مبالغة سياسية لا صورة دقيقة لما يجري على طاولة التفاوض.

أما إيران فكانت أشد وضوحاً. خرج المتحدث باسم وزارة الخارجية إسماعيل بقائي ليقول صراحةً: إن اليورانيوم المخصب لإيران لن ينتقل إلى أي مكان. وأصرّت طهران على أن المخزون النووي قدرة وطنية وليست سلعة للتفاوض أو التسليم، معتبرةً ادعاء ترامب محاولةً لإظهارها كطرف يتراجع تحت الضغط ، في حين لا يوجد حتى اللحظة اتفاق مكتوب موثَّق حول هذا البند.

هذا هو قلب اللعبة: ترامب يُعلن اتفاقاً لم يُوقَّع، ويصف تنازلات لم تُقدَّم، ويرسم انتصاراً لم يتشكّل ، ثم يترك للتاريخ مهمة تصحيح الرواية، بعد أن يكون الجمهور قد ابتلعها.

سابعاً: "السفن تمر بشكل طبيعي"، والمدمرات على بُعد ألف كيلومتر

ادّعى ترامب أن السفن الأمريكية "تعبر مضيق هرمز بكامل سيادتها" وسط أتون العملية. الصورة التي أراد رسمها: أمريكا قادرة، مهيمنة، غير مُقيَّدة.

الواقع؟ تشير مصادر عسكرية وتحليلات ملاحية إلى أن السفن الأمريكية كانت تُبقي مسافات تتجاوز ألف كيلومتر عن نطاق خطر الصواريخ الإيرانية الساحلية تحاشياً للاستهداف. ما بين "تمر بشكل طبيعي" وبين "تبتعد ألف كيلومتر احترازاً"، يكمن الفارق بين الرواية والحقيقة.

ثامناً: الصورة الأخرى ، إيران الجريحة التي لم تسقط

في خضم نقد خطاب المبالغة، تقتضي الأمانة الفكرية أن نقول ما يقوله الواقع كاملاً، لا نصفه.

نعم، لحقت بإيران خسائر فادحة وحقيقية. اغتيل المرشد الأعلى علي خامنئي، وأُصيب نجله مجتبى خامنئي الذي أُعلن مرشداً خلفاً له. وطالت الضربات عشرات الوزراء والقادة العسكريين وكبار المسؤولين في الحرس الثوري والجهاز السياسي. هذا ليس هامشياً ، هذا قطع حقيقي في رأس المنظومة وذاكرتها المؤسسية.

واستُهدفت البنية التحتية الإيرانية من جسور ومحطات كهرباء ومرافق نفطية وجامعات ومراكز بحثية. كانت الأقمار الصناعية تُظهر أضواء تنطفئ في المدن الكبرى، ومصافي تتوقف، وطرقاً تنقطع. لكن الشعب الإيراني، وهذا ما يُربك الحسابات الأمريكية، لم ينتفض. لم يخرج إلى الشوارع مطالباً بإسقاط النظام كما تمنّى بعض المخططين في واشنطن وتل أبيب. وهنا يكمن درس يتجاهله صانعو السياسة في إدارة ترامب مراراً: القصف لا يُنتج ثورات بالضرورة، بل كثيراً ما يُوحّد الناس خلف دولتهم حين يشعرون بالتهديد الخارجي، حتى وهم يكرهون حكوماتهم.

وهنا تتجلّى تناقضات خطاب الانتصار في أوضح صورها:

أعلن ترامب تدمير منظومة الدفاع الجوي الإيرانية تدميراً شاملاً. وقبل أن تجفّ حبر هذا الإعلان، أسقط صاروخٌ إيراني طائرةً من طراز F-15 ،إحدى درر القوة الجوية الأمريكية، و تعرضت مقاتلات أخرى للسقوط أو الإصابة ، منهم طائرة وقود غرب العراق. فكيف يُسقط دفاعٌ جوي مُدمَّر طائرةً متقدمة (طائرات)؟

وأعلن ترامب كذلك تدمير "البحرية الإيرانية" في الساعات الأولى من العملية. ثم فاجأ العالم مشهدٌ لم يكن في السيناريو: مدمرتان أمريكيتان تتراجعان عن المضيق تحت وطأة تهديدات إيرانية ، تهديدات صادرة من بحرية كان الرئيس الأمريكي قد شطبها من الخريطة. ما بين إعلان التدمير وواقع التراجع، تقع الهوّة التي تبتلع المصداقية.

وكما تراجع عن ادعاء التدمير الكامل، تراجع ترامب أيضاً عن "الجائزة الكبرى": احتلال جزيرة خرج

الإيرانية، شريان الجمهورية الإسلامية النفطي. جاء ذكرها في خطابه مُبشِّراً بها كانتصار وشيك، ثم خبا الحديث عنها في صمت بين المؤتمرات الصحفية كأنها لم تكن.

الحقيقة الكاملة، إذاً، ليست ادعاء ترامب المضخَّم ولا نفيه المطلق. إيران تلقّت ضربات حقيقية، وفقدت قيادات حقيقية، وعانى شعبها معاناة حقيقية. لكنها لم تنهار ولم تستسلم ولم تنتفض على نفسها. وهذا وحده كافٍ ليقول لنا إن مشكلة الرهانات الأمريكية لم يكن إنها مبنية على افتراضات خاطئة أو تقديرات استخباراتية قاصرة فقط ، بقدر ما كان خطابها مبنياً على روايات مُضخَّمة ليس لها علاقه كبيرة بالتقارير.

ما الذي تصنعه هذه الادعاءات بالعالم؟

دعونا نكون صريحين في ما تفعله هذه الادعاءات المتراكمة على المستوى الدولي، لأن تأثيرها لا يقف عند حدود الاستهلاك الداخلي الأمريكي.

أولاً: حين تُعلن القوة العظمى الأولى في العالم "القضاء على برنامج نووي" ثم تعود لاستخدامه كذريعة للحرب، فإنها تُقوّض كل آليات التحقق الدولية وتجعل من معاهدات عدم الانتشار النووي ورقةً فارغة.

ثانياً: ادعاء "تسليم اليورانيوم بلا مقابل" يضع طهران أمام خيار مُعلَّق: إما أن تُكذّب الادعاء فتبدو عنيدة في أعين الرأي العام الغربي، أو تسكت فيُفسَّر صمتها موافقةً. هذا فخٌّ دبلوماسي مُحكم، لا انتصار حقيقي، الذي ألقى بظلال من عدم الثقة و تصعيد لغة التصريحات قبيل جولة المفاوضات الثانيه .

ثالثاً: حين يُعلن الرئيس الأمريكي أن مضيق هرمز "حرٌّ وآمن" بينما ناقلات النفط الكبرى لا تزال عالقه داخل المضيق، و الدول المستورده للنفط من مصادر بديلة أعبر طرق أطول و ثمن أغلى ، فإن أسواق الطاقة العالمية لا تُصدّق الرئيس، بل تُصدّق ناقلاتها وبياناتها التأمينية. والفجوة بين الكلام والسوق هي أقسى اختبارات المصداقية.

رابعاً: الصين وروسيا وكوريا الشمالية يتابعون بعناية شديدة. حين يُخادع الرئيس الأمريكي حلفاءه قبل خصومه، يتعلّم كل لاعب في النظام الدولي أن لا شيء مما تقوله واشنطن يمكن أن يُبنى عليه ، لا التهديد، ولا الوعد، ولا الاتفاق. النتائج النهائية وما يتحقق من أهداف استراتيجية وسياسية هو ما يمكن البناء عليه.

خاتمة: الزعيم الذي صدّق روايته

بعد أيام من اندلاع الحرب، اتصل بي صديقي الخبير القديم من جديد. قال: "المشكلة مع ترامب ليست أنه يكذب. المشكلة أنه بدأ يُصدّق كذبه."

انظر إلى الخريطة الكاملة لادعاءاته: "قضينا على البرنامج النووي" ثم "البرنامج النووي خطر وجودي". "انتصرنا في أول ساعة" والحرب مستمرة بعد أشهر. "هرمز حرٌّ وآمن" والناقلات تسلك طرقاً بديلة. "إيران سلّمت اليورانيوم بلا مقابل" وطهران لم تُوقّع شيئاً. "دمّرنا البحرية الإيرانية" ومدمرتان تتراجعان أمام تهديداتها. "السفن تمر بحرية" حاملات الطائرات على بُعد ألف كيلومتر من المضيق و المدمرات تستجيب لنداء بحرية الحرس الثوري.

هذا ليس سياسة خارجية. هذا بناء روايات متوازية لجمهورٍ لا يملك وقتاً للتحقق، ولحلفاء لا يملكون شجاعة المواجهة.

الزعيم الذي يكذب مع وعيه يمكن أن يتراجع حين يضطر. لكن الزعيم الذي أقنع نفسه بروايته لا يملك منفذاً للخروج ، لأن أي تراجع يعني انهياراً في صورة القائد الذي لا يقهر، والرئيس الأمريكي الأفضل في تاريخ أمريكا.

ترامب عالق في ادعاءاته. عالق بين ما قاله وما هو كائن، بين الخريطة التي رسمها وجغرافيا الواقع التي لا تُعيد رسم نفسها بمجرد تغريدة.

والعالم، للأسف، عالق معه. ينتظر: إما أن تتفتح أبواب جحيم جديدة في أعقاب تغريدة طائشة، وإما

رابعاً: الصين وروسيا وكوريا الشمالية يتابعون بعناية شديدة. حين يُخادع الرئيس الأمريكي حلفاءه قبل خصومه، يتعلّم كل لاعب في النظام الدولي أن لا شيء مما تقوله واشنطن يمكن أن يُبنى عليه ، لا التهديد، ولا الوعد، ولا الاتفاق. النتائج النهائية وما يتحقق من أهداف استراتيجية وسياسية هو ما يمكن البناء عليه.

خاتمة: الزعيم الذي صدّق روايته

بعد أيام من اندلاع الحرب، اتصل بي صديقي الخبير القديم من جديد. قال: "المشكلة مع ترامب ليست أنه يكذب. المشكلة أنه بدأ يُصدّق كذبه."

انظر إلى الخريطة الكاملة لادعاءاته: "قضينا على البرنامج النووي" ثم "البرنامج النووي خطر وجودي". "انتصرنا في أول ساعة" والحرب مستمرة بعد أشهر. "هرمز حرٌّ وآمن" والناقلات تسلك طرقاً بديلة. "إيران سلّمت اليورانيوم بلا مقابل" وطهران لم تُوقّع شيئاً. "دمّرنا البحرية الإيرانية" ومدمرتان تتراجعان أمام تهديداتها. "السفن تمر بحرية" حاملات الطائرات على بُعد ألف كيلومتر من المضيق و المدمرات تستجيب لنداء بحرية الحرس الثوري.

هذا ليس سياسة خارجية. هذا بناء روايات متوازية لجمهورٍ لا يملك وقتاً للتحقق، ولحلفاء لا يملكون شجاعة المواجهة.

الزعيم الذي يكذب مع وعيه يمكن أن يتراجع حين يضطر. لكن الزعيم الذي أقنع نفسه بروايته لا يملك منفذاً للخروج ، لأن أي تراجع يعني انهياراً في صورة القائد الذي لا يقهر، والرئيس الأمريكي الأفضل في تاريخ أمريكا.

ترامب عالق في ادعاءاته. عالق بين ما قاله وما هو كائن، بين الخريطة التي رسمها وجغرافيا الواقع التي لا تُعيد رسم نفسها بمجرد تغريدة.

والعالم، للأسف، عالق معه. ينتظر: إما أن تتفتح أبواب جحيم جديدة في أعقاب تغريدة طائشة، وإما أن تُسوَّى الأمور بمؤتمر صحفي مُرتجل على متن طائرة الرئاسة.







الفصل الثاني عشر

من كتاب

الواحات المفقودة

للرحالة الجغرافي

أحمد حسنين باشا

الكتاب هو رحلة استكشافية محفوفة بالمخاطر في الصحراء المصرية الليبية

تقديم : عصمت ضيف الله الملهطاني

اختلاف مناظر الصحراء وإصلاح الخريطة

الفصل الثاني عشر

الاثنين ٢٦ مارس

عند بئر الحَرَش من آبار الظَّيْغَن، أعلى درجة للحرارة ٢٧ وأقلها ٦. جوٌّ صَحْو وريح شمالية شرقية، انقلبت عاصفة شديدة حوالي الساعة ١١، وظلَّت ثائرة حتى منتصف الساعة السابعة، ولم تهدأ حتى منتصف التاسعة.

كان عزمنا أن نقيم ليلة واحدة في الظَّيْغَن، ولكن العاصفة اضطرتنا إلى البقاء يومًا آخر. والظَّيْغَن منطقة بها أربع آبار: الاثنتان اللتان مررنا بهما يوم الأحد، والحَرَش التي نزلنا عندها، وأبو زُرَيْق على بعد ٢٠ كيلومترًا في جهة الشرق.

وقد حادث أبو حُلَيْقَة أثناء النهار — تابعي عبد الله — في أمر مجيئي إلى الصحراء، فقال: «إنكم جريئون أيها المصريون، فإن من الجسارة أن يحضر البك مرتين إلى بلادنا التي لم أرَ أجنبيًّا زارها. ولعمري، لماذا يأتي إلى الصحراء ويترك خيرات الله في مصر، إن لم يكن له غرض خفي في ذلك السفر وأخطاره؟ ولست أكتمك أني يشغلني أمر مجيئه مرتين واهتمامه بقياس هذه الجهات ورسمها.»



حتى صديقي أبي حُلَيْقَة تصل الريبة إلى نفسه مني، ويخامره الشك في أغراضي حين اخترقت بلاده. وقد وضح لي في آخر الأمر الدافع الحقيقي الذي سبَّب كراهية البدو لمجيء الأغراب إلى بلادهم، وليس ذلك الدافع تعصُّبًا دينيًّا، وإنما هو غريزة المحافظة على النفس؛ فإن الغريب إذا أوغل في الصحراء إلى الكُفْرَة، وهي مركز حياتهم المحبوب، كان كما يقول البدو: «كالجمل يدخل أنفه من ثنايا الخيمة»، ويتبعه بعد ذلك كثيرون، فتكون النتيجة تملك الأجنبي بلادهم، وضياع استقلالهم، وإذلالهم بدفع الضرائب. وليس لأحد أن يلومهم على الخوف من إحدى هذه النتائج.

والرأي الشائع أن الصحراء لا يتبدَّل فيها شيء، ولكن توالي الأيام يخلق فيها تغيُّرًا مدهشًا. فإن الرحالة رولف عند مروره بالظَّيْغَن في طريقه إلى الكُفْرَة سنة ١٨٧١ ذكر وجود مساحة كبيرة من النباتات في تلك الجهة، ولكني لم أرَ فيها خضرة أصلًا، وإنما وقع نظري على أكوام من الحطب الجاف.

ويؤيد قول رولف ما ذكره لي أبو حُلَيْقَة من أن أباه كان يأخذه إلى الكُفْرَة عند سفره لاستجلاب البلح؛ لأن البدو يعتقدون أن ماء «شَخِيرَة» — وهي مركز الزوايا بالقرب from جالو — يضر الأطفال في الصيف. وكان أبوه يحمله فوق ظهره معظم الطريق، ويقطعها في ذلك الوقت في ثلاثة أيام وخمس ليالٍ بدون وقوف في الطريق، وإنما كانوا يقدرون على هذا بإطعام الإبل مرة واحدة بين جالو والظَّيْغَن، حتى إذا وصلوا الظَّيْغَن تركوها ترعى في الأرض الخضراء التي تحيط بها. وهكذا يتضح أن رولف لم يكن كاذبًا في وصفه تلك الجهات بكثرة المراعي، ولكن مرور ٤٥ سنة غيَّر معالم تلك الجهات،


بئر الحرش في الكفرة منطقة الظيغن

وربما كان السبب في ذلك اختلاف سريان الماء في طبقات الأرض وانقطاعه عن تلك الجهات اليانعة، فأصبح كل ما فيها حطبًا للوقود.

وكانت مرحلتنا من بئر بو الطَّفَل إلى الظَّيْغَن مثالًا ناطقًا لمخاطر الصحراء، فإنا احتطنا في تلك السفرة جهد الطاقة، ولكن وقودنا نفد، ومات منا جمل، وخارت قوى جملين آخرين حتى خيف عليهما، واستُهلِك طعام الجمال، فاقتاتت بين الظَّيْغَن والكُفْرَة بأوراق النخيل التي جمعناها في الظَّيْغَن، والسَّعَف طعام لا يُغني الجمل من جوع. وقد حفظت عن أحد البدو مثلًا لا يخلو من لَمْزَة تهكم، وهو: «صديقك كناقتك؛ تعطيك اليوم لبنًا وتخذلك في الغد.»

وقد رصدت نجم القطب الشمالي بواسطة التيودوليت الليلتين اللتين قضيتهما في الظَّيْغَن، ووضح لي بعد تطبيق الملاحظات وعمل الحساب أن الظَّيْغَن واقعة على بعد ١٠٠ كيلومتر في الجهة الشرقية الشمالية الشرقية من الموقع الذي وضعها فيه رولف. والمعلوم أنه لم يزر الظَّيْغَن ولم يرصدها، واعتمد على ما قاله البدو عنها. وقد لاحظت فوق هذا أن الظَّيْغَن تعلو ٣١٠ أمتار عن سطح البحر.

الثلاثاء ٢٧ مارس

قمنا الساعة السادسة وربعًا صباحًا، ووقفنا الثامنة مساءً، وقطعنا ٤٧ كيلومترًا. أعلى درجة للحرارة ٢٦° وأقلها ٨°. جوٌّ صَحْو وريح قوية من الشمال الشرقي هبَّت الليل والنهار، وسحاب صُبَيْر. وقد أشار الدليل بعد تركنا الحَرَش إلى موقع الكُفْرَة على بعد خمس درجات من الجنوب الجنوبي الشرقي. وظللنا مدة ساعتين نمر بالحطب الممتد على مسافة ١٠ كيلومترات من شرقي البئر، ثم دخلنا جهة كثيرة الرمل الناعم القليل التموج، وازداد تموج الأرض حتى دخلنا أصقاع التلال الرملية قرب الغروب.

وفي منتصف الساعة الثالثة، رأينا جهة الشرق صفًّا من التلال الرملية يتخللها تلال صغيرة تُسمَّى أجراسًا من الحجر الأسود، وكان امتداد هذه التلال من ٢٠ إلى ٣٠ كيلومترًا. وقد انحدرت على مدى أبصارنا صوب الجنوب الشرقي، ثم

انتشرت تلال الرمل – ويسمونها عِزَر – بعد ذلك صوب الجنوب الغربي. وفي منتصف السادسة تقاربت هذه التلال واعترضت سبيلنا، فولجنا بينها، ولكنها لم تكن من الارتفاع بحيث صعب علينا اجتيازها.

وضح لي الفرق الشديد بين البدو والعبيد في الصبر على السير. ويقول السود: إنهم لا يحبون الزوايا وإن خافوهم. وكانت جمال التَبُو أكثر صيانة وانقيادًا من جمال البدو، وكان كل جمل منها مربوطًا إلى «رَسَن» لقيادته، ولا تسير متخبطة كجمال البدو.

واجتزنا عند الظهر علم «جُبَيْل الفُضَيْل». وهذا العلم، شأنه أكثر أعلام الصحراء، يحمل اسم من فقد حياته بالقرب منه تذكارًا له.

كان الفُضَيْل من خير أدلاء الصحراء، وكان في طريقه من جالو إلى الكُفْرَة، فغمرت قافلته عواصف رمل شديدة أهلكت جميع أفرادها. ولم يكن هنالك شاهد على ما حدث، ولكن ما وُجِد بعد ذلك من أثر القافلة أظهر جلية الأمر.

قامت عاصفة شديدة سَفَتِ الرمال في وجه القافلة وآذت عيني الفُضَيْل كثيرًا، فعصبهما، ولم يستطع رؤية الطريق، بل اعتمد على وصف من كانوا معه للأعلام التي مروا بها. ولكنهم كانوا قليلي الخبرة، فأخطأوا آبار الظَّيْغَن، وحاولوا الانحدار إلى الكُفْرَة، ولكنهم ضلُّوا في الصحراء، وفَنِيَتِ القافلة إلا جملًا واحدًا غالَبَ أن يرجع إلى الكُفْرَة تقوده غريزته التي لا تخطئ، فوصلها. وعرف أهل المدينة أنه من جمال الفُضَيْل بما على عنقه من وسم. وقامت قافلة لنجدته، فتبعت أثر الجمل في الصحراء، ولكن الوقت كان قد فات، فإنهم عثروا بجثث الرجال متصلبة فوق صعيد الصحراء بالقرب من العلم الذي أُطلق عليه اسم الفُضَيْل، التعس الذي وُجِد معصوب العينين، فكشف عن سر المأساة وأظهر حقيقة الفاجعة.

الأربعاء ٢٨ مارس

كانت السحب كثيفة طول النهار يتخللها ضوء الشمس من آنٍ لآخر، ولم تنقشع كذلك في المساء. وهبَّت ريح باردة من الشمال الشرقي، ثم انقلبت في الثامنة صباحًا عاصفة دامت ثلاث ساعات ونصف ساعة، واستمر هبوب الريح الباردة في المساء، وسقط رذاذ في منتصف الحادية عشرة مساءً.

سرنا بين تلال الرمل مدة ساعتين، ثم دخلنا أرضًا متعرجة مغطاة بالحجارة السوداء المُهَشَّمَة التي آذت الجمال كثيرًا، وقضينا في تلك الحَرَّة ساعتين، ثم سرنا ثانية بين تلال الرمل. وفي الحادية عشرة ونصف صباحًا، كانت سلسلة تلال «الهَوَايِش» عن يسارنا، وتلال الرمل والحجارة السوداء عن يميننا. وفي الثانية عشرة وربع اجتزنا عن يسارنا، على بعد أربعة كيلومترات، علم «جُور المَخْزَن»، وهو عبارة عن تلال من الحجارة السوداء يبلغ ارتفاعها من ٥٠ إلى ١٥٠ مترًا. وفي الثانية إلا ربعًا مررنا بعلم «الحَجَارة وبِنْتِها»، وهو عبارة عن تلين يختلفان حجمًا، بحيث عَلِقَ بهما الاسم الذي تسميا به.

وأخبرت بعض البدو كيف ضللت الطريق سنة ١٩٢١، فلم يعجبوا لذلك؛ لأن أهل الصحراء أَلِفُوا كل يوم فقد الطريق والإبل والماء والوقود.

الخميس ٢٩ مارس

لم أتمكن ذلك اليوم من ضبط أقل درجة للحرارة؛ لأن ترمومتر النهاية الصغرى كُسِر أثناء هبوب العاصفة.

ظلت تلال «الهَوَايِش» عن يسارنا حتى العصر. وفي الحادية عشرة ونصف دخلنا أرضًا ناعمة الأديم كثيرة التلال الرملية المتموجة التي يصعب سير الرجال والجمال عليها. وفي منتصف الثانية مررنا يمينًا بأكبر الأعلام التي اجتزناها، وهو علم «جَارة الشَّرِيف». وهذا العلم عبارة عن تل يمتد ١٥٠ مترًا ويبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر، ويجاوره ثلاثة تلال، اثنان منها في الجنوب والثالث في الشمال.

وفي الثالثة، سرنا بين تلال متعددة خرجنا منها بعد ساعتين إلى أرض منبسطة صلبة الرمل كثيرة ركام الحجارة السوداء.

وفي منتصف الرابعة صباحًا، قامت أشد عاصفة رملية ابتُلِينا بها في الطريق، فاجتاحت الخيام وقوَّضت أركان خيمتي، وهَشَّمَت بعض أدواتي، وبينها الكرونومتر الصغير.

وتَهَدَّمَتِ الخيمة عليَّ، وزاد ثقلها بما انهال عليها من الرمال التي لا ينقطع تراكمها، فخفت الاختناق تحتها. ولكني لحسن الحظ أمسكت وتدًا من أوتاد الخيمة، ورفعت به قماشها عن وجهي، وجرى الرجال لمساعدتي، ولكني صرخت إليهم أن يضعوا أكياس الدقيق وقطع الأمتعة فوق خيامهم وخيمتي حتى لا تجتاحها العاصفة جميعًا. وأقمت في ذلك المركز المتعب تحت خيمتي زهاء الساعتين، وكان الرمل ينفذ إليَّ من شق الخيمة كأنه يُقذَف من بندقية.

وقاسى الرجال والجمال كثيرًا، وأوشكت العاصفة أن تفجعني في الكرونومتر الكبير؛ لأن طنب الخيمة لو مال قيد أنملة واحدة لهَشَّمَ تلك الآلة النافعة، وحرمني جانبًا كبيرًا من النتائج العلمية للرحلة.

والبعيدون عن الصحراء لا يعلمون من أمر الرحالة إلا الخيبة أو النجاح، يفصلهما خط واضح. ولكن المستكشف لا يميز هذا الخط، فقد يكون ضاربًا في الطريق السوي، جامعًا كل المعلومات التي أرادها، قريبًا من نهاية الرحلة، ثم تخور جماله بغتة فيضطر إلى ترك أثمن حوائجه، ويُفضل الماء والزاد فيُستبقيان وتُترك الأجهزة الفنية والمدونات. وقد تكون مصيبته أدهى فيُضحي بكل شيء حتى بحياته، ولا يعرف الناس من أمره إلا أنه خاب. وقد ينصفه بعض النقاد فيقولون: إنه خاب خيبة مُشْرِفَة، فهو على الحالين خائب. وما أقرب هذه الخيبة من النجاح! فقد يكون ذلك الخائب أكثر عملًا، وأشد تحملاً لمشاق الطريق الطويل، ممن أصاب النجاح في رحلته. وإنما يميل الرحالة إلى أخيه الذي جاهد وخاب، لا إلى ضريبة المُوَفَّق؛ لعلمه أن أولهما لم يخب إلا بعد أن جاهد جهاد الأبطال في سبيل الاحتفاظ بثمرة مجهوداته.

والبدو يقدرون ذلك. فقد كان في أخلاقهم نزعة أدهشتني وراعتني في بعض الأحيان، ثم أمكنني فهمها أخيرًا. وذلك أنهم لم يكونوا يطربون ويُسَرُّون إذا انتهت مرحلة اليوم بالنجاح المرغوب، وكأنهم يقولون: لقد وُفِّقنا اليوم، ولكن ماذا عسى يكون نصيبنا في الغد؟! ولذلك لم يكن من عادتهم أن يطربوا بالنجاح؛ لأنهم لم يصلوا إليه بمهارتهم، وإنما ساعدتهم العناية في إصابته، فقد تكون رحلة الغد أسهل من سابقتها وتكون الخيبة فيها عظيمة. وقد عثرنا بآثار قافلة منقرضة في رحلتي الأولى بصحراء ليبيا بين واحة لُويزِمَة – وهي من واحات الكُفْرَة – وبين الكُفْرَة، ورأينا يدًا نافذة من بين الرمال مصفرة الجلد كلون الرُّقَى، فتقدم إليها أحد الرجال وهو خاشع، فَهَالَ عليها التراب وغَطَّاها. وإنما ضلَّ رجال تلك القافلة وماتوا عطشًا، وهم على مسيرة ثلاثة أيام من الواحة.

وكم وُجِد من بقايا قافلة فَنِيَتْ وهي على مَرْأًى من البئر، وكم عُرِف من أخبارها المروعة، فلم يمنع ذلك القوافل من سلوك تلك السبيل؛ لأن البدوي يُؤمن بالقدر، ويعتقد أن الله قضى على أفرادها بالموت في الطريق. وقد قال لي أحد البدو ذات مرة: «حَوَاصِيل الطُّيُور ولا ظلام القُبُور»، يعني بذلك أنه يُفضل أن تأكل جسده القَشَاعِم.

وكان يومنا هذا متعبًا؛ لما أصابنا من إقلاق الراحة في الليلة الماضية عند هبوب العاصفة، وما أصابنا من الجهد في السير بين التلال الرملية. ولكن الرجال كانوا طَرِبِينَ بالاقتراب من الكُفْرَة، وزاد سرورهم أن أبا حُلَيْقَة – الذي كان يقطن الهَوَارِي، وهي أول محطة في ظاهر الكُفْرَة – عزم أن يذبح شاة ويُولِم وليمة لأفراد القافلة. وكانت الإبل ضعيفة ناحلة، ولكن ثلاثة منها كانت وطنها الكُفْرَة، فاندفعت في السير إليها غير مسوقة رغم صعوبة المسير بين التلال، وتبعها سائر جمال القافلة. وفي السابعة إلا ربعًا أبصرنا «جَارة الهَوَارِيَّة»، وهو العلم العظيم الدال على الاقتراب من الكُفْرَة.

الجمعة ٣٠ مارس

قمنا الثامنة إلا ربعًا صباحًا، ووقفنا السادسة إلا ربعًا، وقطعنا ٣٥ كيلومترًا، فوصلنا الهَوَارِي. وسقط رذاذ من المطر في المساء. وكانت الأرض منبسطة ناعمة الرمل قليلة التعرج، تكثر فيها أكوام الحجارة السوداء والحمراء. وفي منتصف الساعة العاشرة، دخلنا منطقة الرمل الأحمر التي تحيط بالكُفْرَة، واحتجزنا في طريقنا اليوم قطعًا من الخشب المتحجر. وفي الساعة الأولى والدقيقة ٢٥ مررنا بجارة الهَوَارِيَّة، وفي منتصف الساعة الرابعة أبصرنا نخيل الهَوَارِي، وبعد ذلك بساعة ونصف دخلنا الواحة وضربنا الخيام في قرية «العَوَازِل». وهكذا وصلنا أول مراكز الكُفْرَة.

وقد أُطلِق اسم الكُفْرَة في عهد المستكشف الألماني رولف على الأربع الواحات المتفرقة المسماة: تِزِرْبُو، وبُوزِيمَه، ورَبِيَانَه، وكَبَابُو؛ التي تكون الكُفْرَة الحالية. ولكن اسم الكُفْرَة يُطلَق الآن على واحة كَبَابُو فحسب.

والهَوَارِي أبعد أقسام الكُفْرَة ناحية الشمال، وهي واحة صغيرة مكونة من ثلاث قرى، وهي: الهَوَارِي، والهَوَاوِيري، والعَوَازِل. وتقع التَّاج على بعد ١٧ كيلومترًا من الهَوَارِي، وهي مركز الحكومة المحلية، كما أنها أهم موقع، وهي واقعة على رَبْوَة صخرية تطل على منخفض الواحة الأصلية التي تقع في الجنوب، وتضم قرى: الجَوْف، وبُوِيمَه، وبُومَه، والزَّرْق، والطَّلالِيب، والطُّلَّاب.

وكان غرضي أن أتقدم في السير إلى التَّاج – وهي أهم مدن الكُفْرَة – في اليوم التالي، ولكن أبا حُلَيْقَة طالب بحقه في الضيافة وأصر على استبقائي يومًا في بلده. وقضينا ليلة هادئة لا يعكر صفوها هبوب العواصف أو تهدم الخيام. واستيقظت في الصباح فحلقت ذقني، واستعددت لالتهام الفطور الذي تفضل بإرساله بدو قافلة وصلت حديثًا من «وَدَاي»، وفي نفس الوقت جمعت بعض معلومات قيمة جعلتني أفكر في تغيير بعض خططي.

وبعثت رسولًا إلى التَّاج برسائل إلى السيد العابد ابن عم السيد إدريس وشيخ السنوسيين في الكُفْرَة، وإلى السيد الجَدَّاوي وكيل السيد إدريس الخاص.

ورافقني الزَّرْوَّالِي بعد ظهر ذلك اليوم إلى الهَوَارِي، حيث استقبلني في زاويتها الإخوان وأشراف المدينة. وبعد أن تبادلنا عبارات الترحيب والتحية، تناولت العشاء في منزل عم السيد الزَّرْوَّالِي. واحتج عليَّ شيخ البدو؛ لأني فاجأتهم بزيارتي ولم أضرب خيامي خارج المدينة، وأُخبرهم بحضوري حتى يتهيأوا للقائي كما يجب. ويحتمل أنهم سمعوا بالإكرام الذي لقيته في جالو، فعز عليهم أن لا يقوموا نحوي بمثله وزيادة. وسمعت إشاعات عن دسائس بين بعض شيوخ الزَّوَايَا الذين ارتابوا في غرضي من المجيء مرة ثانية إلى الكُفْرَة، واحتجوا على هذا المجيء بتخلفهم عن مشاركتي في العشاء الذي هُيِّئ لي. وكان هؤلاء الشيوخ ذوي نفوذ شديد، فصممت بعد سماع هذه الإشاعات على الإسراع بالسفر إلى التَّاج، خيفة أن يُرسلوا إليها ما يشوش الأفكار قبل وصولي.

وبعد تناول العشاء، عدت إلى خيامي في ليلة مقمرة، فوجدت أمرًا هامًّا في انتظاري، فإن «عَقِيلَة» أكبر أبناء أبي حُلَيْقَة لدغته عقرب، وسألني أبوه أن أشفيه، ثقة منه بما حملت من الأدوية. فأخذت المصل المضاد للدغ العقرب، وقصدت داره فرأيت ابنه في أشد حالات المرض محترقًا من فتك الحُمَّى. وكنت قد فكرت في أخذ هذا المصل في آخر لحظة قبل قيامي من القاهرة، وكان بين مودعيَّ طبيب من أصحابي، فأرشدني — وهو يشد على يدي — إلى طريقة استعماله، بينما كنت أتبادل كلمات الوداع مع من كان حولي من الأهل والأصحاب. وكانت هذه أول مرة أحاول فيها أن أقوم بإعطاء هذه الحقنة، فأجهدت فكري في جمع الإرشادات التي أعطانيها صديقي الطبيب في موقف التوديع، ولكني لم أبصر في صفحة خيالي إلا الفرق الشديد بين غرفة المريض المظلمة، المملوءة بأهله

وإخوانه يتعقبون جميع تحركاتي، وبين موقف التوديع الحار ساعة أضفت أنابيب المصل إلى حوائجي. ومع هذا، وبالرغم من شكّي فيما إذا كان الإسعاف قد فات وقته، فقد أعطيت الشاب تلك الحقنة وعدت أدراجي إلى خيمتي مشغول الخاطر بما عسى أن تكون النتيجة.

ولم يمضِ وقت طويل حتى سمعت جَلَبَة جمهور يتقدم إلى خيمتي، وهو يرسل في الفضاء صراخًا عاليًا وقع من أذني موقع العداء، فظننت أن الصبيَّ قد قضى، وأن تبعة موته ستقع على عاتقي بدل أن تُنسب إلى لدغ العقرب. ففكرت في جمع رجالي للدفاع عن صندوق الآلات الذي حسبت أنه سيكون أول ضحية لسوط غضبهم، واستعددت للدفاع عن نفسي. وكانت ساعة عصيبة لم تدم طويلًا، فقد هدأتُ بعدها؛ لأني مَيَّزْتُ في صراخ القادمين رَنَّة سرور.

ولم تمضِ دقائق حتى دخل عليَّ أبو حُلَيْقَة وشكرني من أعماق قلبه لأني شفيت ابنه من دائه العُضَال، قائلًا بحرارة وحماس:

«الله أكبر! لقد كان سِحْرًا ما فعلت. إن شفاء ابني كان في الدواء الذي أعطيته له.» وكانت حُمَّى الصبي قد هبطت، وتولَّد الأمل في شفائه، فشكرت الله في نفسي على التوفيق الذي أصاب عملي؛ لأن موت الطفل كان سيحرج مركزي ويضعني في أخطر المواقف.

وتركني زُوَّاري، فخرجت في ضوء القمر أستريض بين أَجَمَات النخيل.



السيد شمس الدين ابن المرحوم
السيد الخطابي شقيق السيد العابد



البحيرة بالكفرة



السيد شرف الدين «شروفه»
ابن السيد العابد السنوسي



مجلس كبار السنوسية بالكفرة